المرجعية اللسانية في التحليل النقدي للخطاب

(في الأصول ونقد المناهج)

أ. محمـد يطـاوي

أستاذ اللغة العربية

باحث بسلك الدكتوراه بكلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة السلطان مولاي سليمان

بني ملال، المغرب

الهاتف: 670962685 212+

البريد الإلكتروني: yattasim@gmail.com

الاستلام	٢٠١٨/٢/٧	المراجعة	٢٠١٨/٣/١١	النشر	٢٠١٨/٤/٣٠

الملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى التعريف بنظرية التحليل النقدي للخطاب. وتحاول أن تكشف عن أصولها ومناهجها ومرجعياتها اللسانية، بوصفها مقاربة متقدمة في تحليل النصوص والخطابات، متجاوزةً إجراءات تحليلِ المضمون إلى فضح سوء توظيف اللغة لتكريس مظاهر الهيمنة. هي نظرية لسانية ظهرت سنة ١٩٨٩ مستفيدة مما تَقدَّمها في حقل اللسانيات، فلقيت اهتماما كبيرا من لدن علماء اللغة الأمريكيين والأوروبيين خاصة. والبحث محاولة للتعريف بها وأسسها النظرية، ومحاولة لنقد مناهجها. وغايته الكبرى هي إثبات مرجعيتها اللسانية، لدرء اللبس في تصنيفها بسبب ندرة أبحاثها النظرية والتطبيقية في اللسانيات العربية.

الكلمات المفتاحية:

الخطاب؛ التحليل النقدي للخطاب؛ الممارسة الاجتماعية؛ السلطة؛ المرجعية اللسانية.

The linguistic Background in Critical Discourse Analysis

(Origins and Criticism of Methods)

Mr. Mohamed Yattaoui

Professor of Arabic Language

Researcher at the Faculty of Arts and Human Sciences

Sultan Moulay Sulaiman University

Beni Mellal, Morocco

Tel: +212 670962685

Email: yattasim@gmail.com

Received	7/2/2018	Revised	11/3/2018	Published	30/4/2018

Abstract:

This study seeks to introduce the theory of (Critical Discourse Analysis). And tries to reveal their origins, linguistic backgrounds, and methods, as an advanced approach in the analysis of texts and discourses, bypassing content analysis procedures to detect the misuse of language in order to devote manifestations of dominance. It is a linguistic theory that emerged in 1989, benefiting from its advances in the linguistics field, so it received great attention from American and European linguists in particular. The research is an attempt to define it, its theoretical basis, and criticism of methods. The great purpose of this research is to prove its linguistic background, in order to avoid confusion in its classification due to the scarcity of its theoretical and applied researches in the Arabic linguistics.

Keywords:

Discourse; Critical Discourse Analysis; Social Practice; Power; Linguistic background

مقدمة:

تحيل التسمية (التحليل النقدي للخطاب/Critical Discourse Analysis)[١] إلى مقاربة هي الأحدث بين المقاربات اللسانية التي عُنيت بالاشتغال على اللغة متخطيةً نطاق الجملة، والعلاقات الداخلية للنصوص. وهي مقاربات تندرج كلها في إطار نظرية تحليل الخطاب منذ تأسيسها في فترة الستينات. فمنذ الجهود الأولى للساني علم اللغة النصي والدرسُ اللغوي يستميت في تجاوز حدود الجملة التي توقفت عندها اللسانيات الوصفية، خاصة مع نعوم تشومسكي وتلامذته؛ ويتجه نحو بناء نظريات لغوية قادرة على دراسة الوحدات الأكبر من التركيب الجملي، وتفكيك البنى النصية وعلاقاتها الداخلية ثم الخارجية.

أثمر هذا التوجه ظهور نظريات لغوية كثيرة، أهمها اثنتان بارزتان: لسانيات النص/علم اللغة النصي، وتحليل الخطاب. وإذا كانت الأولى تُعنى بتحليل الأبنية النصية وتقديم عُدة تبرز طبيعة العلاقات والقيم النحوية الداخلية للنصوص، فإن الثانية تجاوزت بدورها البناء النصي الداخلي إلى تعقب وظائفه في سياقات إنتاجه وتصريفه؛ بل إن تحليل الخطاب جمع بين جوهر النظريتين، مقدما نموذجا لسانيا أكثر ثراء من حيث الربط بين الاختيارات اللغوية داخل شبكات النصوص، ووظائفها الاجتماعية على اختلافها.

تعددت في هذا الإطار النظريات والمقاربات والمناهج الخائضة في تحليل الخطاب(اللسانيات التطبيقية، التلفظية، والتداولية، والسيميائيات..). وتعد نظرية النحو الوظيفي النسقي مع هاليداي [1] أولَ نظرية لسانية تعاملت مع الخطاب بوصفه ممارسة اجتماعية لها وظائف متنوعة. ولعل البعد الوظيفي الاجتماعي الذي أقرته هو السبب الذي جعلها منطلقا أساسيا لبزوغ فجر **التحليل النقدي للخطاب** على يد نورمان فوركلوف (Norman Fairclough) مع بداية تسعينات القرن الماضي[2].

وتحاول هذه الدراسة البحث في أصول النظرية بهدف التعليل العلمي على كونها تخصصا لسانيا يقوم على أسس منبثقة من مجموعة من النظريات اللسانية التي تقدمتها؛ فهي ثمرة لجهود علماء اللغة الذين اشتغلوا منذ ستينات القرن العشرين في مجالات اللسانيات النقدية والنحو الوظيفي وتحليل الخطاب واللسانيات المعرفية. ذلك لأن الساحة العلمية العربية في العصر الراهن، تعرف ندرة الأبحاث في هذا التخصص، ثم إن حضور بعض الندوات والورشات والمناقشات العلمية أظهر ضبابية في التصنيف الدقيق للتحليل النقدي الخطاب؛ فبعضٌ يعتبره نقدا ثقافيا، وآخرون يعتبرونه نظرية بلاغية جديدة، وطرف ثالث يرى فيه منهجا نقديا أدبيا، وهذا البحث يؤكد أنه مقاربة معاصرة في نظرية تحليل الخطاب لسانيا. ولهذا الغرض، تنطلق الدراسة من الإشكال الآتي: ما هي الأسس النظرية والمسوغات العلمية والمؤلفات التأسيسية والمناهج العلمية التي تؤكد أن التحليل النقدي للخطاب تخصصٌ لساني معاصر؟

للإجابة عن هذا الإشكال، توزع البحث بين أربعة محاور: التعريف بالتحليل النقدي للخطاب، ونشأته، ثم أسسه النظرية، فمناهجه الست مع محاولة لنقدها. كما اعتمد منهجا استقرائيا يحاور نصوص رواد التحليل النقدي للخطاب بغية الخلوص إلى خاتمة تستجمع الدلائل والمسوغات العلمية من جميع المحاور، لتأكيد فرضية الدراسة: التحليل النقدي للخطاب نظرية لسانية وامتداد لتحليل الخطاب وفق رؤية لغوية اجتماعية معاصرة.

[١] يُستخدم في الأعراف اللسانية الأنجلو–ساكسونية للدلالة على تسمية (Critical Discourse Analysis) الاقتضاب الآتي: (C.D.A).

١. ما التحليل النقدي للخطاب؟

إن الوعي بالموقع المهم الذي يحتله الخطاب داخل الحياة الاجتماعية كان قد استقر مع مختلف مقاربات تحليل الخطاب، خاصة مع هاليداي واللسانيات النقدية. غير أن منطق التجاوز الذي هيمن على الفكر اللساني الغربي، فرض نفسه على نورمان فوركلوف ومن دأب دأبه من اللسانيين كفان دايك (Van Dijk) وفوداك (Vodak) وغيرهما؛ إذ إن عنايتهم بقضايا المعرفة وهموم المجتمع أضفت على تخصصهم اللساني نزعة نقدية نقلت تحليل الخطاب إلى ما يسمى بالتحليل النقدي للخطاب (C.D.A). فأتاحوا إمكانية جديدة في دراسات اللغة، تجمع بين اللساني وغير اللساني والاجتماعي.

انطلاقا من الوعي بهذه العلاقة الوثيقة بين الخطاب والمجتمع، ينبثق تعريف التحليل النقدي للخطاب كما يقدمه نورمان فوركلوف: **"التحليل النقدي للخطاب هو تحليل للعلاقات بين الخطاب (يتضمن اللغة وأشكال سيرورات المعنى الأخرى، كالتعبير بالجسد والصور المرئية) والعناصر الأخرى في الممارسات الاجتماعية، وهو يُعنى على وجه الخصوص بالتغيرات الجذرية التي تلحق الحياة الاجتماعية المعاصرة: موقع الخطاب في سيرورات التغيير، والتحولات في العلاقات بين الخطاب وسيرورات المعنى عامة من جهة، والعناصر الاجتماعية الأخرى في شبكات الممارسات من جهة أخرى".[3]** يُفهم أن منطق (C.D.A) هو التحليل الذي يركز على تفاعل الخطاب مع باقي مكونات السياق الاجتماعي. فكل خطاب يصبح ممارسة اجتماعية تجد لنفسها موقعا بين باقي عناصر المجتمع.

بهذا المعنى، يكون الخطاب قد انتقل من شبكة العلاقات النصية إلى أخرى اجتماعية. غير أن دخوله في علاقات تفاعلية مع عناصر المجتمع يصبح مبتغى المنهج الذي ينهجه التحليل النقدي للخطاب؛ أي إبراز ما لعلاقات الخطاب الجديدة من تأثيرات وتأثرات. فأما عناصر الممارسات الاجتماعية فمتنوعة افتراضا وحقيقة، وقد تضم الأفراد أو المؤسسات أو الأسواق، أو جل أنواع الخطابات الأخرى الموازية. وانطلاقا من موقع الخطاب وسيرورات معانيه بين هذه العناصر، وقدرتها على التأثير فيه، وقدرته على التأثير فيها، تُفرَز ما عبر عنه فوركلوف بالتغيرات الجذرية وسيرورات التحول.

تتبقى نقطة أساسية في قول فوركلوف، وهي التي تهم ما يتضمنه الخطاب، أو أشكال سيرورات المعنى فيه. وهي اللغة والتعبير بالجسد والصور المرئية. ومنها نستنبط فائدتين أساسيتين؛ أولاهما هي: أن التحليل النقدي للخطاب يشتغل على سيرورات المعنى القائمة على أساس اللغة الطبيعية، أو التواصل غير اللفظي، أو التعبير بالصورة، أو نمط الخطاب الذي يوفق بين هذه السيرورات برمتها. ومنه، فالتحليل النقدي للخطاب لا يقصي أي نمط من أنماط الخطابات التي يجدها موضوعا مناسبا لاشتغاله، فقد يكون نصا مكتوبا، أو خطبة ملقاة، أو محاكمة، أو مناظرة، أو مقابلة تلفزيونية، أو محادثة حقيقية، أو إعلانا إشهاريا. **وثانيتهما** هي: أن هذا الصنف من التحليل يقوم على أساس لساني محض بالدرجة الأولى، وقبل النظر في العلاقة بين لغة الخطاب والمجتمع، وما تسفر عنه تلك العلاقة من أصناف السلط والهيمنة.

يبدو إلى حدود ما ذكر عن التحليل النقدي للخطاب، أنه مجرد مقاربة تتطابق إلى حد كبير مع ما سبقها من نظريات في تحليل الخطاب، وبخاصة مع النحو الوظيفي النسقي كما جاء عند هاليداي. لكن الحقيقة أن طبيعة المنهج تفترض تعريفه باتباع مسار الإجراءات التحليلية التي ينهجها في معالجة النصوص والخطابات. استنادا إلى هذا المبدإ، ننتقل إلى ما تجاوز به (C.D.A) جلَّ مقاربات تحليل الخطاب التقليدي؛ إنها النظرة النقدية[4] التي تنطلق من استثمار نتائج تحليل الاختيارات اللغوية النصية والخطابية في الكشف عن طبيعة السلطة الممارسة على المخاطَب (الجمهور أو الفرد). ولتيسير ذلك نورد تعريفا آخر بوصفه: **"مقاربة في تحليل الخطاب تنظر إلى اللغة باعتبارها**

ممارسة اجتماعية، وتُعنى بطرق التعبير عن الأيديولوجيا وعلاقات القوة التي تتضح من خلال اللغة."[5]. نركز في هذا التعريف على المفاتيح الآتية:

- **مقاربة في تحليل الخطاب:** معنى ذلك أن (C.D.A) واحدة من المقاربات اللسانية التي تشتغل في إطار نظرية تحليل الخطاب، كتحليل المحادثة والتحليل النفسي للخطاب والتحليل الكمي..؛ مما يعطيها مشروعيتها اللسانية التي لا تقبل الجدال.
- **تنظر إلى اللغة باعتبارها ممارسة اجتماعية:** لَمَّا كانت اللغة المادة الخام للخطاب، فإن تفاعله الاجتماعي ينقلها إلى قلب المجتمع، ليس فقط باعتبارها أداة للتواصل، ولكن بوصفها ممارسة اجتماعية، وأداة يسخرها منشئ الخطاب لتحصيل مآرب سلطوية معينة.
- **تُعنى بطرق التعبير عن الأيديولوجيا وعلاقات القوة التي تتضح من خلال اللغة:** أي إن أول ما تهتم به هذه المقاربة هو تسخير التحليل اللساني للنصوص والخطابات لغاية نافعة في حياة الناس، وهي رصد مظاهر السلطة المراد ممارستها على المخاطَب بالربط بين طبيعة الاختيارات اللغوية وما تختزنه من علاقات معقدة داخليا، تتوارى خلفها أيديولوجية صاحب الخطاب ومواقع القوة. ومن المؤكد أن هذه النظرة النقدية الاجتماعية هي الخطوة الجديدة التي انضافت إلى تحليل الخطاب مع (C.D.A)، فمَيَّزتها عن باقي المقاربات التي توقفت عند التفاعل الاجتماعي(حدود السياق والفهم والقصد والكذب والصدق والاستعمال...)، دون الالتفات إلى ما تكرسه اللغة من أنماط السلط عبر الممارسة الخطابية. ذلك ما أكده فوركلوف بتسميتها: **"بالوسيط الأولي للسيطرة الاجتماعية والسلطة."[6].**

يظهر أن التحليل النقدي للخطاب مقاربة تندرج ضمن نظرية تحليل الخطاب كما يقول توين فان دايك كذلك: **"التحليل النقدي للخطاب(C.D.A) هو نوع من أبحاث تحليل الخطاب التي تدرس في المقام الأول طريقة سوء استخدام السلطة الاجتماعية"**[7]؛ إذ تفضح خبايا النصوص بوصف البنى اللغوية القائمة فيها، والعلاقات الداخلية، ثم تستنطقها بخصوص المرامي الحقيقية التي تسعى إلى تحقيقها. فالتحليل النقدي يقدم فحصا للنص على مستوى الاختيارات التنظيمية للبنية الداخلية. لكنه ينتقل من الاشتغال على السؤال: ما دلالة النص وعلاقاته؟ إلى البحث عن إجابة عميقة وممتدة من المحيط الداخلي إلى المحيط الخارجي، بسؤال أكبر: كيف مارست لغة النص/الخطاب السلطة على المتلقي؟ وبذلك، يتجاوز هذا النمط من الممارسة اللسانية الفهمَ والإبلاغ إلى الكشف عن المسكوت عنه في النص؛ أي إن له غاية تفوق القبض على الدلالة، وتتجاوزها إلى تأويل المقاصد المضمرة نسبيا، كحقيقة الرسالة ونتائجها المرجوة، ثم الانتماء والصراع الأيديولوجي والمذهبي والسياسي والاجتماعي، ومن يهيمن؟ ومن يستفيد؟ ومن يُهيمَن عليه؟

قد تحيل مفاهيم السلطة والهيمنة والقوة والأيديولوجيا إلى أن هذه المقاربة تُعنى فقط بالخطابات السياسية. إلا أن الرؤية العلمية في هذا المجال تُسقط هذا الافتراض بصفة مطلقة؛ إذ إن المقصود هو البحث عن الممارسات التي تحتضن مثل هذه الظواهر في مختلف أنماط النصوص والمحادثات، سواء كانت في إطار تجلياتها الكبرى أو الساذجة. فعلى سبيل المثال، قام نورمان فوركلف بتطبيق الإطار التحليلي لمقاربة التحليل النقدي للخطاب على محادثة بين طبيب ومريضة، وشرطي وشاهدة، وحصة دراسية، ومقالات إعلامية[8]، فخرج في خاتمة التطبيق إلى تجليات السلطة الكامنة وراء الأنسجة النصية والتفاعلات الخطابية؛ وهي سلط هدفها الهيمنة على المخاطَب، وميزتها أنها متباينة النوعية. هكذا يستقر فهم مفهوم السلطة والمفاهيم المجاورة لها على التحكم في المتلقي في أي مساق خطابي، وكيفما كان نوعه. فسلطة الطبيب على زبونه ليست هي سلطة الشرطي على الشاهدة، كما أنهما

ليستا من جنس سلطة الصحفي على جمهور القراء. هكذا يستقر فهم مفهوم السلطة والمفاهيم المجاورة لها على التحكم في المتلقي في أي مساق خطابي، وكيفما كان نوعه.

٢. نشأة التحليل النقدي للخطاب:

جاء في كتاب (***الكلمات المفاتيح في تحليل الخطاب/key terms in discourse analysis)*** أن مؤسس التحليل النقدي للخطاب هو نورمان فوركلف سنة 1989 [9]. إن ما جعل مؤلفَيْ الكتاب الذي استقينا منه هذا التوثيق، يشهدان بالسبق لفوركلوف؛ هو أن هذه السنة عرفت إصداره لمؤلَّفه المرجعي (اللغة والسلطة)؛ ففيه أوضح معالم نظريته وفق بناء منهجي جمع بين التنظير والتطبيق كعادته في جل مؤلفاته. كما أنه أظهر ريادته لهذه المقاربة انطلاقا مما احتواه كتابه المذكور من آراء مؤسسة لما عرف بالدراسات النقدية للخطاب أو التحليل النقدي للخطاب، ثم الإجراءات التحليلية العملية التي أقرها بوصفها منهجا لتطبيق هذه المقاربة.

يأتي في المقابل، رأي آخر لإحدى رائدات هذه المقاربة: روث فوداك (Ruth Wodak) في كتابها (مناهج التحليل النقدي للخطاب)، حيث ترى أن تأسيس المقاربة كان سنة ١٩٩١ بجامعة أمستردام خلال عقد دائرة علمية[٢]، ناقش في أثنائها مجموعة من اللسانيين موضوعَ اللغة والخطاب والمجتمع والسلطة، وشملت هذه الدائرة أبرز الرواد، وهم: نورمان فوركلوف، وتوين فان دايك، وروث فوداك، وكريس غانتر، وتيو فانلوفين[10].

لا يفوتنا هنا أن نجمع بين الرأيين والقول إن بداية التسعينات شهدت ميلاد هذه المقاربة الحديثة واستواءها منهجا علميا في إطار علم اللسانيات، على يد باحثين متخصصين كلهم في علم اللغة، كل حسب تخصصه الفرعي. فكانت مدرسة جديدة في تخصص تحليل الخطاب. ونالت إعجاب عدد كبير من اللسانيين الأوروبيين على الخصوص[11].

إن ما أنتجته مقاربات تحليل الخطاب المتقدمة على (C.D.A) يقدم نفسه باعتباره تراثا لسانيا يقتصر على الوصف الداخلي للعلامات اللغوية في الخطابات، مع انفتاح مبكر على عمليات الإنتاج والاستعمال وكيفيات التواصل، والتفاعل بين الخطاب وعناصر السياق الحقيقي الذي يحتضنه. إضافة إلى استحضار الأبعاد النفسية والمعرفية، والجمع بين التحليلين الدلالي والتداولي. ولعل ذلك ما خلف فراغا ممتدا بين كل هذه الجوانب المعتبرة، والواقع الاجتماعي بكل تناقضاته وقضاياه؛ إذ إن الوقوف عند عتبة المجتمع كان سببا ثانيا (بعد اللسانيات النظرية الوصفية) في تكريس التباعد الحاصل بين محصلات علم اللغة وحياة البشر.

لسد هذا الفراغ، اتجه اللسانيون منذ السبعينات نحو إيجاد صيغ معرفية وإطارات نظرية ذات أبعاد إبستيمولوجية بين-حقلية قادرة على سد ما يسميه كثير من اللغويين بالفجوة بين تحليل الخطاب والحياة الاجتماعية بمختلف مستوياتها. لتتحقق أولى هذه الصيغ مع مقاربة فوركلوف في تحليل الخطاب: **"لقد تم تجسير هذه الفجوة إلى حد كبير في إطار ما يعرف بالدراسات النقدية للخطاب-Critical Discourse Studies، أو التحليل النقدي للخطاب Critical Discourse Analysis. وذلك بواسطة تبني مقاربة تجمع بين الوصف التفصيلي للتجليات اللغوية والنصية للخطاب، وتحليل الحجج وأساليب البرهنة، ونقد علاقات السلطة التي تعبر عنها وتنتجها أو تقاومها وتؤسس بديلا لها."[12].**

---

[٢] سبق لفان دايك أن أحال إلى هذا الاجتماع الذي ضم رواد (C.D.A) بأمستردام سنة ١٩٩٢ في دراسته المعنونة بـــ" Principles of Critical Discourse Ananlysis" بالصفحة ٣٣. وفي فقرته الأخيرة من هذه الدراسات، امتن كثيرا لجهود كل من فوركلوف وفوداك وفانلوفين على إسهاماتهم الجادة والفاعلة في تطور هذا التخصص الجديد، معترفا بسبقهم إليه.

أبرز الإطارات النظرية التي توسل بها لسانيو التحليل النقدي للخطاب، هي تلك التي تتقاطع معه في المنهج أو الموضوع، ولو نسبيا. فـ**"هناك عدد من نظائر تحليل الخطاب النقدي في التطورات النقدية في علم اللغة الاجتماعي، وعلم النص، والعلوم الاجتماعية .."[13].** وإن كانت اللسانيات الاجتماعية قد اقتصرت في طرق اشتغالها على إيجاد تفاسير للظواهر اللغوية في سياقها الاجتماعي، كالاختلاف بين اللغة واللهجة والرطانة، ثم خواص اللهجة الواحدة والعوامل المؤثرة في تغيراتها النسقية، كالتاريخ والعادات والأعراف والأعراق والدين. لكنها لم تباشر قضايا اللغة والسلطة في المجتمع.

الأمر نفسه ينطبق على علم لسانيات النص وعلم الاجتماع، فالأول توقف عند حدود النص الداخلية وعلاقات السبك والبناء وتطبيق نحو نصي، والثاني اتخذ اللغة مدخلا لوصف الظواهر الاجتماعية وتفسيرها، لا نقد الخطاب. وبالرغم من ذلك، لا يمكن نفي ما قدمته هذه التخصصات العلمية المجاورة لمقاربة (C.D.A) من أسس ومنطلقات لسانية واجتماعية، شكلت القاعدة الأولى التي قامت عليها.

٣. الأسس النظرية والمعرفية:

أصبح بمقدور نظرية تحليل الخطاب مع هذه المقاربة الجديدة، أن تسبر أغوار النصوص والخطابات بناء على تبني إجراءات تحليلية نقدية قائمة، في جوهرها وإطارها النظري، على الجمع بين الدراية بطاقات اللغة وفضح مضمراتها السلطوية والأيديولوجية ونيات موظِّفيها المبيتة، وبين اختبار الممارسة الخِطابية التي تكتسب قوة وحظوة اجتماعيتين. معنى ذلك أن هذه المقاربة لا تطمئن للخطاب ولا تتلقاه رومانسيا أو وضعيا؛ بل إنها تعتمد منطقا نقديا صارما، منطلقه ومنتهاه هو لغة الخطاب.

منطق كهذا لم ينشأ مع نورمان فوركلوف أو غيره من رواد (C.D.A) أول مرة، بل إنه كان قائما قبله لدى مدرسة فرانكفورت [14] التي ما سلَّمت للممارسات الاجتماعية على اختلافها دون نقد قائم على مبادئ خِطابية ومعرفية وعقلية، وعلى منهج فلسفي تحليلي. بل إنها رفضت حتى الوضعية التي ادعت الحياد، وتشبثت بعدم إقرار أي وضع قائم تحت شعار الموضوعية[15].

والحال هذه، لعل التحليل النقدي للخطاب قد تشبع بما تراكم لدى رواده من تراث إبيستيمولوجي منحدر من مدرسة فرانكفورت. أو قل لعلها تقاطعات معرفية فرضتها كينونة الممارسة اللغوية عبر الخطاب، باعتبار اللغة من أهم عناصر بنية المجتمع. هذا ما يؤكده واحد من أبرز هؤلاء الرواد(فان دايك) حين يقر بأن: **"مبادئ تحليل الخطاب النقدي موجودة بالفعل في النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت قبل الحرب العالمية الثانية.، وبدأت تلك المبادئ التركيز على اللغة والخطاب فضلا عن اندماجها مع "اللسانيات النقدية Critical Linguistics" (ومعظمها في المملكة المتحدة وأستراليا) في نهاية السبعينات .."[16].**

نلفي في قول فان دايك ما يعزز الفكرة التي تنهض من أجلها هذه الدراسة، وهي أن المبادئ النقدية المذكورة قد انصهرت مع الدراسات اللغوية ونظرية تحليل الخطاب، فضلا عن اندماجها مع الدراسات اللسانية النقدية. فمن هاته النقطة بالذات، بدأت رحلة التفكير في مقاربة اللغة والخطاب وفق منظور يقوض أطماعها السلطوية والأيديولوجية المتمثلة في الهيمنة الاجتماعية.

للبرهنة على مسألة اندماج الفكر النقدي القادم من مدرسة فرانكفورت باللسانيات النقدية، لابد من طرح السؤال الآتي: ما اللسانيات النقدية؟ فيجيبنا كل من بول بايكر (Paul Baker) وسيبونيل إليس(Sibonile Ellece) بما نصه: **"مقاربة لسانية ذات اهتمام اجتماعي، كان أول روادها روجر فاولر وغانتر كريس منذ سنة ١٩٧٠، لتصدر في كتاب اللغة والتحكم (فاولر وآخرون١٩٧٩). وظفت اللسانيات النقدية النحو الوظيفي النسقي مع هاليداي،**

لاختبار كيفيات تمثيل الظواهر في النصوص، مثلا: فعن طريق استخدام التأسيم والبناء للمجهول، تنفتح على نطاق الأنظمة النحوية ذات الصلة بالمجتمع والاحتياجات الشخصية."[17].

يظهر أن اللسانيات النقدية اتجاه لغوي حديث وضع في مستهل اهتماماته قضايا اللغة والمجتمع، مستندا بالأساس إلى النحو الوظيفي النسقي لهاليداي كما يصرح نورمان فوركلوف: **"ومن بين الكتابات التي تتناول التحليل النصي، أعتمد بشكل أساسي على الألسنية الوظيفية النسقية (Systimic Functional Linguistics) وهي نظرية لسانية ترتبط بها مناهج تحليل معينة. وأهم روادها مايكل هاليداي" [18]**، ويركز مبدئيا على الصيغ التمثيلية للظواهر الاجتماعية وهموم الفرد في النصوص عن طريق الاختيارات اللغوية. مما يجعلها نظرية سباقة إلى البحث اللغوي الاجتماعي، غير أنها لم تولِ مساقات الخطاب السلطوية والأهداف الأيديولوجية الأهمية التي تلقتها من قِبل التحليل النقدي للخطاب. وعموما، فقد كانت أعمال اللسانيين المشتغلين في هذا الحقل منذ السبعينات من أول المرجعيات اللسانية لـ C.D.A. وأهمها كتاب(**اللغة والتحكم)** حسب سارة ميلز: **"من أفضل النماذج الأولى لما كُتب في هذا المجال مجموعةُ مقالات فاولر وهودج وكريس وتْرِيو بعنوان اللغة والتحكم،.."**[19].

نعزز هذا الطرح ببعض الأطر النظرية التي تُستدعى(من حقل علم اللغة) في جل أبحاث اللسانيات النقدية والتحليل النقدي للخطاب؛ إذ إن: **".. اللسانيات النقدية اعتمدت كذلك على نماذج أخرى مثل نظرية أفعال الكلام وتحليل المحادثة. واستُخدمت أساسا للمستوى الوصفي في التحليل النقدي للخطاب مع فوركلوف.."[20].** الواضح المؤكد من هذا النص أن كلا التخصصين يشتركان في هوية لسانية محضة، لا يمكن نفيها؛ لأنهما يستحضران ما اختلف من نماذج لسانية في وصفهما للنصوص(أفعال الكلام، تحليل المحادثة، لسانيات النص، النحو الوظيفي النسقي،..)؛ هذا الوصف الذي هو موضوع اللسانيات النقدية، ومرحلة أولى في المنهج الذي يقوم عليه التحليل النقدي للخطاب. لذلك، لا يسعنا إلا أن نقر بأن الدراسات اللسانية النقدية شكلت مرجعا لسانيا مركزيا للتحليل النقدي للخطاب في مرحلتي تحليل الممارسة النصية وتحليل الممارسة الخطابية، كما سيأتي أدناه.

والحقيقة أن التفكير في الاشتغال على علاقة اللغة والخطاب بالمجتمع وما تكرسه هذه العلاقة من سلط، قد نشأ منذ أواخر السبعينات خاصة ببريطانيا والولايات المتحدة وأستراليا وهولاندا؛ إذ ظهرت طائفة من اللغوين اللسانيين المتخصصين في تحليل الخطاب، عكفت على تحليل أنماط من النصوص الإعلامية والسياسية والنقابية لتبيان حقيقة الممارسة الخطابية في المقام الاجتماعي وما يتولد عنها من مظاهر الهيمنة والتسلط، فأخرجت مجموعة من: **" الأبحاث الموجهة إلى دراسة البعد الاجتماعي للخطاب وكيفية تأويله في مختلف كيفيات الاستعمال. وهي أبحاث انتشرت منذ السبعينيات من القرن الماضي في أوروبا(بريطانيا خصوصا) والولايات المتحدة، وكان من روادها هاليداي وليفنسون، وفاولر، وكريس، وهودج، وغيرهم؛.."** [21].

المستنتج الأهم من النصوص السابقة، هو أن التحليل النقدي للخطاب استطاع أن يغرف من الفكر النقدي الذي يباشر قضايا المجتمع مع مدرسة فرانكفورت، والإطار النظري للسانيات النقدية الذي يستدعي ما استحق من النماذج اللسانية الملائمة لنمط النص أو الخطاب المعالج. فإذا بـ (C.D.A) يوفق بين الأساسين ويقدم مقاربة تحمي الفرد والمجتمع من التوظيف الموارب للغة، وما يترتب عليه من إقصاء وتهميش وهيمنة مفروضة على الفئات الاجتماعية.

تجدر الإشارة إلى أن ارتباط مقاربة (C.D.A) باللسانيات النقدية قد لعب دورا محوريا في مسار تطورها التاريخي منذ ظهورها؛ إذ كان لعلم اللغة النقدي تأثير بالغ الأهمية في مناهجها كما يوضح النص: **"اللسانيات**

النقدية.. كانت كذلك مؤثرة في تطور مقاربات نقدية أخرى في تحليل الخطاب، مثل مقاربة التحليل التاريخي للخطاب، أو المقاربة السوسيو-معرفية"[22]. فقد أفرز انشغال الرواد المذكورين بهذا التخصص إقامة مجموعة من المناهج المختلفة من حيث طبيعة النقد ومرجعياته(علم الاجتماع، علم النفس، التاريخ، التربية..)، لكنها تتفق كلها في مركزية البحث اللساني وحتميته. فما هي المناهج المختلفة داخل مقاربة التحليل النقدي للخطاب؟

٤. في المناهج:

١.٤. المشترك اللساني والاجتماعي بين مناهج (CDA):

قدمت مقاربة فوركلوف في التحليل النقدي للخطاب أنموذجا تحليليا متماسكا يولي دراسات اللغة الأهمية التي تقتضيها مكانتها في المجتمع وفي حياة الناس. هذا ما جعلها محط اهتمام المشتغلين في حقل اللسانيات، وخصوصا في تحليل الخطاب. ويعزى ذلك إلى خصوبة التحليل وجدية النتائج التي تتوصل إليها أية دراسة عملية نهجت مبادئ هذه المقاربة. ثم إلى كونها اختيارا علميا استطاع أن يدرس اللغة في علاقاتها مع منتج النص ومتلقيه وسياقات الإنتاج والتفاعل، والقضايا المعقدة التي يعانيها الأفراد والجماعات تحت وطأة التحكم الذي فرضتها الرأسمالية الجديدة ودواليب العولمة القاتمة. ومن هؤلاء المهتمين بالتحليل النقدي للخطاب، باحثون تركوا بصمات بارزة في تاريخ النظرية؛ إذ استطاعوا أن يطوروا بعض جوانبها النظرية والمنهجية، فوقَّعوا على ميلاد مقاربات أو مناهج غنية ومتنوعة تنضوي تحت لوائها.

قادت هذه التوقيعات الجديدة في مقاربة التحليل النقدي للخطاب من لدن الباحثين الرواد الذين سنأتي على ذكرهم بعد قليل، إلى توكيد مسألة أساسية: هي أن اللغة يجب أن تدرس في عصرنا الحالي، وفق تصور يتجاوز الوصف العقيم والمحدود، الوصفَ الذي يتوقف عند مجرد الإخبار عن منطق اشتغال الألسن ووحداتها وبنيتاها الداخلية؛ لأنه مجرد إخبار عما هو كائن فيها. والحقيقة أن أبحاثا من هذا القبيل كانت الحاجة ماسة إليها منذ سوسير وحتى شومسكي. لكنها، ومع ما شهده حقل اللسانيات من زخم في النظريات والنماذج، فلابد وأن تجد هذه الأبحاث أشباهها في المراحل التي جاءت بعدها، على الأقل في القرن العشرين.

غير أنه مع التحليل النقدي للخطاب، وشيئا ما مع نظرية تحليل الخطاب عامة، باتت الدراسات اللغوية مشاريع مجتمعية وإسهامات معرفية منتجة ومربحة إنسانيا واقتصاديا. ذلك لأن أبحاث (C.D.A) ركزت على مواضيع اجتماعية شائكة، وجدت فيها الخطاب مسخرا من أجل إرباك البشر وإخضاعهم وتسليمهم بالأمر الواقع. إن قيمة هذه المواضيع واهتمام الباحثين بها أدى إلى تلاقح التحليل النقدي للخطاب بحقول معرفية أخرى، مما جعله مقاربة علمية بين-حقلية. من أبرز هذه المواضيع نذكر: الهيمنة الاقتصادية، العولمة، الرأسمالية الجديدة، الحجاج الإشهاري، التسلط السياسي، إشكالات التربية في المدارس، المرافعات والمحاكمات، المغالطات القانونية، الإعلام الكاذب والمضلل، العنصرية، الخطابات المعادية للأديان..؛ وغيرها من القضايا الأخرى.

إذا كانت المواضيع التي يركز عليها التحليل النقدي للخطاب قد أدت إلى تلاقحه مع كثير من حقول العلوم الإنسانية، فإن رواده لم يجدوا بدا من ضرورة الانفتاح على تلك الحقول، وإضفاء بعض التعديلات والتقويمات حتى يتماشى المنهج مع طبيعة موضوع الخطاب المدروس. من هذا المنطلق ستتعدد المقاربات داخل (C.D.A)؛ فقد: **"اقتُرحت مقاربات أخرى في التحليل النقدي للخطاب، على الرغم من أنها تميل جميعها إلى التوليف بين تحليل النص والنظر في السياق الاجتماعي الأوسع"**[23]. لأن إيجاد تفسيرات اجتماعية للاختيارات اللغوية، يشترط أن يكون المحلل ملما بالمجال المعرفي الذي انتخب منه موضوع دراسته، فضلا عن كونه باحثا لسانيا في المقام الأول.

هكذا، سيعرف التحليل النقدي للخطاب ظهور مقاربات متفرعة منه، لكنها تستحضره وتتفق مع مبدئه الأول، حتميا، المتمثل في مركزية الاشتغال اللساني بمرحلتيه الأولى والثانية: الوصف النصي وتحليل التفاعل الخطابي.

وبناء على اشتراط المواضيع المدروسة لأطر تحليلية منسجمة مع الحقل المعرفي الذي تنتمي إليه، وخاصة في المرحلة الثالثة: التأويل الاجتماعي؛ ستخرج إلى الوجود المقاربات، أو لنقل المناهج، أسفله:

٢.٤. مناهج التحليل النقدي للخطاب:

١.٢.٤. مقاربة التحليل الجدلي العلائقي/ (DRA)[٣]:

كون النموذج الذي اقترحه نورمان فوركلوف (١٩٩٢) مؤسسا للمقاربة المركزية لتحليل الخطاب، فإن البدء بعرض أهم خطوات الإطار التحليل الإجرائي الذي اعتمده هذا اللساني ضرورة قصوى. والحق أنه إطار حاضر بقوة في جميع المناهج التي تلته؛ إذ موطن الاختلاف الوحيد بين جميع المقاربات هو المرحلة الثالثة في المنهج العام للمقاربة، حيث يبدأ المحلل بربط مستنتجات التحليل النصي والتحليل الخِطابي بالعوامل الاجتماعية التي فرضت بنية النص من جهة، ومظاهر تأثر المجتمع ببنية النص نفسه. ولا غرابة أن تُستدعى الأطر المنسجمة مع موضوع الخطاب في هذه المرحلة.

يرى فوركلوف أن بين النص والمجتمع علاقة تحاورية قائمة على الجدل المتبادل[24] . فكل نص أو خطاب مُتَحَكَّمٌ في بنيته واختياراته اللغوية من قبل عناصر بنية المجتمع، وبينة المجتمع بمختلف عناصرها معرضة للتأثر بتفاعل هذا النص. مما يضع المحلل أمام كيانين يحتضنان بعضهما البعض، وتربطهما علاقة تأثير وتأثر. يقول فوركلوف عن هذه العلاقة: **"أرى أنه لا توجد علاقة خارجية بين اللغة والمجتمع، بل علاقة داخلية وجدلية. فاللغة جزء من المجتمع، والظواهر اللغوية ظواهر اجتماعية فعلا، وإن تكن من نوع خاص، والظواهر الاجتماعية ظواهر لغوية(إلى حد ما) [25].**

يؤكد هذا الرأي من فوركلوف أن أي نص ينبثق من داخل المجتمع، ويعود إليه. هنا، تتضح نظرة مختلفة لإنتاج النص؛ مختلفة لأن صانع النص ،وهو يؤلف، يستحضر موضوعه ويبنيه بحسب أهدافه أو أهداف الجهة التي تعلوه. ولأنه يضع في صلب اهتمامه تحديَ التأثير في المخاطَب بتثبيت القائم أو تعديله أو بناء وعي جديد. ذلك ما يجعل السياق الاجتماعي متحكِّما في الصُّناع. لكن، ومادام محتضنا لتفاعل هذا النص مع عناصره، فإنه هو كذلك سيتأثر بما صدر عن الصانع، وما لم يكن منه في البدء. هكذا تتواجه خواص الصانع مع خواص النص وخواص السياق الاجتماعي في إطار علاقة تفاعلية جدلية داخلية.

كلما انخرط الإنسان في حدث لغوي بالكتابة أو المحادثة أو الاستماع، فقد انخرط بالضرورة في ممارسة اجتماعية، بل إنها ممارسة مؤثَّثة وفق الأشكال اللغوية التي يفرضها المجتمع من بين طرائق عديدة ومتراكمة في بنيته تاريخيا. هذا ما يجعل اللغة ظاهرة اجتماعية بالمعنى الذي يتجاوز رأي سوسير، بل جزءا من المجتمع. كما أن كل ممارسة اجتماعية لا يمكن أن تخرج عن نطاق اللغة، فباللغة تتم كل العمليات ذات الطابع الاجتماعي، بل بها يخرج كل نشاط أو ممارسة اجتماعيين للوجود.

بناء على هذه العلاقة الجدلية، يربط فوركلوف في مقاربته التحليلية، باعتماد (C.D.A)، بين عمليتين يختص بها المشاركون في التفاعل الخِطابي: إنتاج النص وتفسيره؛ فيقول: **"ومن الخصائص المهمة لعمليتي الإنتاج والتفسير**

[٣] اختصار لـــ: Dialectical-Relational Approach

اشتمالُهما على التفاعل بين خصائص النص.. وموارد الأعضاء[٤]، وهي ما يحمله الناس في رؤوسهم وينهلون منه عندما ينتجون أو يفسرون النصوص، ومن بينها معرفتهم باللغة، والصور التي تمثل العالمين الطبيعي والاجتماعي اللذين يعيشون فيهما.."[26]. مُفاد هذا النص أن إنتاج النصوص وتفسيرها خاضع بالقوة إلى المجتمع الذي يتحكم في الصانع والمشاركين؛ هو تحكم مرده إلى التفاعل بين أعماق النصوص والخلفية المعرفية، التي لا يمكن أن تكون لها صفة أخرى غير أنها اجتماعية كما يضيف فوركلوف: **"بمعنى أنها توجد في رؤوسهم، ولكنها اجتماعية؛ بمعنى أن لها أصولا اجتماعية، فهي وليدة المجتمع.."**[27].

موفِقا بين ثلاثة أبعاد في العلاقة بين اللغة المجتمع، يقترح فوركلوف تحليلا نقديا للخطاب يقوم على ثلاث مراحل؛ فأما أبعاد العلاقة بين اللغة والمجتمع فهي: (اللغة شكل من أشكال الممارسات الاجتماعية، الظواهر الاجتماعية لغويةٌ، التفاعل الاجتماعي بين خصائص إنتاج النص وتفسيره). وأما بخصوص مراحل التحليل الثلاثة، فيقول: **"وبالتوازي مع هذه الأبعاد الثلاثة للخطاب، سوف أميز بين ثلاثة أبعاد أو ثلاث مراحل للتحليل النقدي للخطاب: الوصف: وهو يمثل المرحلة الخاصة بالخصائص الشكلية. التفسير: وهو يختص بالعلاقة بين النص والتفاعل.. الشرح: وهو يختص بالعلاقة بين التفاعل والسياق الاجتماعي، أي بالتحكم الاجتماعي في عمليتي الإنتاج والتفسير.."**[28]. ينبني التحليل النقدي للخطاب في المقاربة العلائقية الجدلية حسب تصريح فوركلوف على ثلاثة أنماط من الإجراءات التحليلية المتراتبة والمتواشجة، تأخذ كل منها برقبتي الأخريين:

أ. تحليل الممارسة النصية (الوصف): يفكك المحلل في هذه المرحلة النصَّ باعتباره منتجا لغويا لرصد العلاقات الداخلية والاختيارات اللسانية، مثل العلاقات بين المفردات والصيغ التركيبية. وهنا تُستدعى النظريات المنشغلة بالمستوى المعجمي والمستوى الدلالي، إضافة إلى العلاقات الصرفية(كالصيغ والضمائر) والتركيبية والنحوية. وفي هذا الصدد يرى فوركلوف أنه لابد من الأخذ بعين الاعتبار أي خيار يمكن له أن يسعف في التحليل الدقيق. كما يركز التحليل في هذه المرحلة على الأبنية النصية مسترشدا بعلاقات السبك والانسجام والاتساق وكل الآليات التي توفرها لسانيات النص. لا ننسى كذلك الاختيارات البلاغية(المجاز، الاستعارة، التشبيه..) وسيرورات المعنى القائمة على البعد العلامي، مثل الصور والألوان والأشكال(في حالة تحليل نص مكتوب كالمقال الصحفي أو الإعلان الإشهاري). وعموما، يترك فوركلوف الباب مفتوحا أمام أي نموذج لساني بمقدوره أن يوضح الاختيارات اللغوية التي ستكون لها آثار تفاعلية واجتماعية، وقيم خبراتية وعلائقية وتعبيرية وترابطية.

ب. تحليل الممارسة الخِطابية (التفسير)[٥]: تتناول هذه المرحلة ما أنتجه المشاركون في إنتاج النص وتفسيره (بوصف المشارك مفسرا كذلك أثناء تلقيه للخطاب). هنا يركز المحلل على ما تمليه الخلفية المعرفية(موارد الأعضاء) على المشاركين وما تقدمه لهم من مساعدات أو فروض لفهم الأطراف الأخرى وتأويل رسائلها؛ فتبرز العلاقة الجدلية بين الخطاب والمجتمع من جهة، وبين الخلفيات المعرفية لجميع المشاركين من جهة أخرى؛ فلا مناص من وجود تقاطعات حاسمة، أو لنقل لابد من التناص في التفسير. مما تركز عليه هذه المرحلة كذلك، تفكيك سياق الحال وتصنيف عناصره وعلاقاتها بالمشاركين: الزمان والمكان وطبيعة العلاقات الفعلية التي تكرسها الانتماءات الفئوية والتوجهات الأيديولوجية أو الفكرية أو العقدية. كما يمتد التحليل إلى الربط بين سطح الكلام الملفوظ ومعناه؛ هنا

---

[٤] موارد الأعضاء حسب نورمان فوركلوف هي الخلفية المعرفية الثقافية المستدعاة من قبل منشئ الخطاب ساعة الإنتاج، والمخاطَب ساعة التفسير.

[٥] يأتي مفهوم التفسير هنا باعتباره مرحلة من مراحل منهج التحليل النقدي للخطاب؛ أي تحليل الممارسة الخطابية : تفاعل النص في سياق خِطابي. لذلك ينبغي أن نفرق عند فوركلوف بين مفهوم التفسير هذا، وعملية التفسير المقرونة بعملية الإنتاج؛ أي تأويل المشاركين في التفاعل الخِطابي ساعة التلقي والانخراط في الممارسة الخطابية؛ إذ لا تدخل عملية التفسير هذه في اختصاص المحلل بـــــ(C.D.A).

يحتاج المحلل إلى الدراسات الصواتية(وخاصة الصواتة التطريزية/العروضية)، وعلمي الدلالة والتداولية؛ لأن الأمر يقتضي دراسة الاستعمال اللغوي للألفاظ بالمقارنة مع معانيها قبل أن تنخرط في الخطاب، كما يقتضي مراقبة الأفعال اللغوية والحجج والبراهين، والنبر والتنغيم والوقف، ولغة الجسد وآثار كل ذلك على المشاركين. وعموما، من شأن مرحلة التفسير أن تكشف عن آثار التفاعل بين النص والمشاركين، عندها فقط، تنكشف الأهداف والغايات.

ج. تحليل الممارسة الاجتماعية (الشرح): مسعى هذه المرحلة هو تعقب آثار فرضية التحكم الاجتماعي في عمليتي الإنتاج والتفسير (الخاصتين بالمشاركين)؛ وينبغي أن نعي فهم فوركلوف لهاتين العمليتين على أن المقصود في الأولى هو تدخل الروافد الاجتماعية و الأيديولوجية المبطنة في الخلفية المعرفية (موارد الأعضاء)، في تشكل الأبنية النصية وقيام التفاعلات الخِطابية؛ وأن المقصود في الثانية هو تفسير المشاركين في التفاعل الخِطابي، وليس تفسير المحلِل. كما أن من مسعى هذه المرحلة الثالثة أن تستبين حقيقة آثار البناء المخصوص للنص بعد تفاعله خِطابيا في الممارسة الاجتماعية. ولعل مرحلة الشرح هي التي تستضيف تحليل ما سماه فوركلوف بالعلاقة الجدلية الداخلية بين اللغة والمجتمع؛ بمعنى أن المرحلتين السابقتين خطوتان متعاضدتان تهيئان الأرضية اللازمة لإيجاد معادلات لغوية لفظية أو غير لفظية لتأثيرات التحكم الاجتماعي في النص، ومعادلات أخرى اجتماعية لتأثيرات الاختيارات اللغوية في السياق الاجتماعي: الانصياع، الصراع، الهيمنة، الرفض، والتعديل...

يحاول المحلل في هذه المحطة أن يربط بين أنماط سيرورات المعنى (لسانية، سيميائية، جسدية..) والقيم الخبراتية والتعبيرية والتنظيمية(أنواع الجمل، الأساليب الأمرية والاستفهامية والتقريرية، المبني للجهول والمبني للمعلوم، الأصوات، النبر، الوقف، الحركات المصاحبة، الضمائر،..) وبين تفاصيل الصراع الاجتماعي حيث تتأطر الممارسة الخِطابية اجتماعيا. ونقدم مثالا لذلك بمهنة صناعة الخطب السياسية، كأن يعلل محلل (C.D.A) إحالة صانع الخطاب إلى نفسه أو المؤسسة التي يمثلها بضمير الجمع(نحن) كلما كان ما يشير إليه إيجابيا، لكنه يحيل إلى نفسه والمؤسسة التي يمثلها تارة أخرى بالبناء للمجهول، كلما كان الفعل الذي يتحدث عنه سلبيا أو غير مقبول أو مورِّثا للتناقض. أو أن يضغط خلال الأداء الكلامي على الكلمات التي تمثله وتتفق مع طرحه لإبراز النبر على مقاطع مخصوصة، في حين يخفض صوته ويخفي النبر وإن كان لازما ،تطريزيا/عروضيا، في مواقع محددة من الخطاب؛ لأن نبرها يجعلها بارزة ومسموعة لدى الأطراف المشاركين، وهذا ما يقف ضده.

هكذا يظهر أن عمل محلل الخطاب نقديا يتوقف على فضح ما اقتضاه مطلب الهيمنة وفرض السلطة الاجتماعية على المشاركين، من اختيارات لغوية لا تتحقق الغاية مع غيرها. ثم طبيعة السلطة الممارسة عبر النص وتفاعله الخِطابي، وما تولد عن ذلك من مظاهر الصراع الاجتماعي؛ ثم ردود المشاركين التي قد تصل حد المقاومة وتجديد الصراع أو تأجيجه في ثلاثة مستويات حددها فوركلوف: المستوى المجتمعي، والمستوى المؤسسي، والمستوى الموقفي(آثار عوامل التحكم أو آثار الاختيارات اللغوية)[29].

تلتزم خلاصة هذه المحطة الثالثة بتقديم شروحات مفصلة لعلاقات السلطة بالمستويات الثلاثة المذكورة(المجتمعي والمؤسسي والموقفي). كما ينبغي أن تحصر، من خلال الربط بين تحليل الممارستين النصية والخِطابية في علاقتهما بالممارسة الاجتماعية، مظاهر الأيديولوجيا التي تحملها الخلفية المعرفية/موارد الأعضاء. إضافة إلى ضرورة تبيان علاقة الخطاب(وفق تشكلاته النصية والتفاعلية) بالصراعات الاجتماعية، وأنماطها(نزاع، تطابق، خلاف جزئي..)، ثم قدرة الممارسة الخِطابية على التأثير في أنماط الصراعات هذه من حيث المحافظة على السلط القائمة، أو إسقاطها، أو تعديل موازين القوى.

يتضح بعد هذه الإضاءة المتواضعة حول المراحل الثلاث التي ينهجها (C.D.A)، أن معطى التحليل حاصل فيها كلها؛ لكنه يختلف من مرحلة إلى أخرى. ففي مرحلة الوصف ينشغل الإجراء التحليلي بتفكيك النص باعتباره مادة مكتوبة، وتحديد العلاقات النصية نحويا ومعجميا وصرفيا وصوتيا ودلاليا وتداوليا وبلاغيا وسيميائيا، ثم فرز القيم التعبيرية والخبراتية والتنظيمية. أما في مرحلة التفسير، فيركز الإجراء التحليلي على الجانب المعرفي والاستعمالي والسلوكي للأطراف المشاركين، وعلاقات التناص، ثم العلاقات الجدلية بين الخلفيات المعرفية والأيديولوجيات التي تؤطرها. في حين أن مرحلة الشرح تختص بتحليل علاقات عميقة وخفية، تتعلق بالروابط بين التشكلات النصية والخطابية والواقع الاجتماعي الذي يتفاعل مع الممارسة الخِطابية؛ بالطبع، في إطار علاقة التأثير والتأثر بين الشكل وطبيعة السلطة التي تمليه، ومدى تأثر السياق الاجتماعي ببناء النص ونمط الخطاب. وما تسفر عنه هذه العلاقات من نتائج سلطوية جديدة: بالتثبيت أو التعديل أو الهدم.

٢.٢.٤. المقاربة التاريخية للخطاب/ (DHA)[٦]:

تتبنى هذه المقاربة بدورها مبدأ التعالق بين البنى النصية والتفاعلات الخِطابية والأنساق الاجتماعية. و**"وفقا للمناهج الأخرى المكرسة للتحليل النقدي للخطاب، فإن المقاربة التاريخية للخطاب تدرك اللغة المكتوبة والمنطوقة على أنها شكل من أشكال الممارسة الاجتماعية."**[30] . وتحاول أن تحلل الخطابات بإضفاء طابع التاريخانية على التحليل، ما مادام الحدث الخِطابي ،باعتباره ممارسة اجتماعية، تاريخيا.

غير أنها مفرطة جدا في الجانب النقدي في أثناء الممارسة التحليلية، وهذا ليس بغريب إذا ما نظرنا في أهم روافدها: **"اللسانيات النقدية.. كانت كذلك مؤثرة في تطور مقاربات نقدية أخرى في تحليل الخطاب، مثل مقاربة التحليل التاريخي للخطاب.."** [31]. فقد نهلت هذه النظرية من النقد الصارم لعلم اللغة النقدي الذي وصلت أبحاثه ذروتها خلال السبعينات، الفترة التي شهدت تركيز رواده(كفاولر وطوني تريو وكريس غانتر وهودج) على قضايا سياسية واقتصادية إقليمية ودولية، وذات حساسية بالغة؛ فباشروها بالتحليل اللساني النقدي دون حرج. ولعل الإفراط في البعد النقدي نابع من تأثر فوداك (Vodak) وريزيغل (Reisigl) –رائدتي المقاربة- بمثل هذه النماذج النقدية اللسانية.

وتتناول هذه المقاربة تحليل الخطاب بدءا من ربطه بالشروط التاريخية الاجتماعية، فتركز على المرحلة التي جاء فيها، وما اكتنفها من أحداث سوسيو-اقتصادية وسياسية؛ إذ تنظر إلى الخطاب باعتباره ممارسة اجتماعية تتأطر ضمن سياق اجتماعي في حقبة زمنية محددة لها سابقها وتفترض لاحقَها. فيكون شرحها للعلاقات بين الأبعاد اللسانية والتشكلات الخِطابية وبين العوامل الاجتماعية مؤطَّرا بالتفاصيل الدقيقة للسياق التاريخي الذي نشأت فيه تلك العلاقات.

إن الخطاب من وجهة نظر هذه المقاربة حدث اجتماعي تاريخي، ونمطه محدد بواسطة عوامل الحقول الاجتماعية التي أُنتج فيها. ويترتب على فهم هذه العلاقة الثلاثية(الخطاب/المجتمع/التاريخ) أن تحليله النقدي يقتضي الإلمام بكل حيثيات السياق الاجتماعي وأحداثه الكثيرة المتزامنة أو المتعاقبة، والبحث عن تفسيرات عابرة لنطاقات الممارسة النصية، والممارسة التفاعلية الخِطابية، والممارسة الاجتماعية؛ لأن التاريخ محتضن للجميع. و**"الهدف من الاشتغال النظري بهذا المعنى هو التنوير الصحيح والمثمر حول المواقف التاريخية والاجتماعية** [32]. هي مواقف أيديولوجية سلطوية(بالمفهوم العام) تتدخل في تشكل النص وتفاعل الخطاب، وفي التفسير كذلك.

[٦] اختصار لـــ: Dsicourse Historical Approach

لذلك، تركز المقاربة التاريخية للخطاب على مفهوم السياق بشكل بارز، ولعل مصدرها الأول في ذلك هو مجمل ما توصلت إليه نظرية النحو الوظيفي النسقي مع هاليداي[33]. إذ ينطلق كل تحليل وفق هذه النظرية من تحليل السياق باعتباره متحكما في الممارسة اللغوية(السياق يتحكم في التركيب). ونورد في هذا المقام ما يؤكد دور السياق لدى رائدتي هذه المقاربة، إذ تقول فوداك وريزيغل: **"تستند مقاربتنا الثلاثية إلى مفهوم السياق الذي يأخذ في الاعتبار النص المباشر، واللغة، أو النص الداخلي من الكلام الواحد(التمثيلات المعجمية، الخصائص المتشابكة، والدلالات، والآثار، والافتراضات المسبقة، فضلا عن التماسك المادي والنحوي)."**[34]. غير أنها تجاوزت نظرة النحو الوظيفي النسقي بالنظر إلى اعتبار الممارسة اللغوية مؤثرة في البنية الاجتماعية ضمن سياق تاريخي ما.

إن أهمية السياق داخل هذه المقاربة منبعثة من عناية روادها(خاصة فوداك وريزيغل) بعلاقة السيرورات التاريخية بما يحدث من تغيرات وتحولات في بنية المجتمع في كل حقبة متسمة بخصوصيات تميزها عن سابقاتها ولاحقاتها؛ حتى إن فوداك قالت في معرض حديثها عن تحليل السياق التاريخي: **"يتم ،دائما، تحليل السياق التاريخي ودمجه في تفسير الخطاب والنص. فقد أصبح مفهوم التغيير متأصلا في تفسير النص والخطاب."**[35]. فيبدو أن منطلقَ التركيزِ بالغِ الأهمية على السياق، هو مركزية التغيرات الاجتماعية وطبيعة العوامل السياقية التي أفرزتها، والعلاقة الجدلية بين هذه العوامل وأنساق التغيير؛ وهي عوامل ذات طابع تاريخي محض؛ وطبيعي أن من شأنها هذه التغيرات –بعواملها- أن تتدخل في إنتاج النصوص وتفسيرها.

يجب ألا نغفل أن هذه المقاربة التاريخية تنطلق ،كغيرها من مقاربات التحليل النقدي للخطاب، من الاشتغال اللساني على النصوص والخطابات المتفاعلة اجتماعيا وتاريخيا؛ مقدمة توصيفا داخليا للبنى العميقة للنص، والتقاطعات التي يستضيفها التفاعل الخطابي، قبل التفسير القائم على رصد التغيرات الاجتماعية في السياق التاريخي المحتضِن، وإيجاد العلاقات الخفية الرابطة بينها وبين الاختيارات اللغوية. فقد طبقت كل من فوداك وريزيغل نماذج لسانية عديدة، بالخصوص الوظيفية والنصية والتداولية. إلا أنهما طالما قدمتا في تحليلهما اللغوي النظريات الحجاجية، كما تفيد هذه الشهادة: فكثيرا ما: **"..اعتمدت مقاربة ريزيغل وفوداك(٢٠٠١) نظرية الحجاج.."[36].**

تعمل هذه المقاربة في شقها اللساني؛ أي في وصف الممارسة النصية والممارسة الخطابية، وفق رؤية استقرائية تنطلق فيها من التوصيف الدقيق للنصوص ورصد شبكات العلاقات اللغوية ونظيراتها الاجتماعية والحدثية (التاريخية). ولعل دراسة فوداك وريزيغل المعنونة ***بالخطاب والعنصرية(٢٠٠١)*** مثلا، أصدق دليل على ذلك. إذ تتأطر هذه الرؤية وفق خمسة أسئلة لسانية خطابية، صاغتها الباحثتان في النص أسفله:

"خمسة من مختلف الوسائل اللغوية أو البلاغية المختلفة التي يتم من خلالها التمييز ضد الأشخاص من الناحية الإثنية والعنصرية.. : (١)كيف تتم تسمية الأشخاص والإحالة إليهم لغويا؟ (٢)ما هي السمات والخصائص والصفات والميزات التي تنسب إليهم؟ (٣)من خلال أية حجج ومخططات حجاجية يقوم أشخاص معينون أو جماعات اجتماعية بمحاولة تبرير الإقصاء والاستبعاد والتمييز والقمع واستغلال الآخرين؟ (٤)من أي منظور أو وجهة نظر، أُعرب عن هذه التسميات، والخصائص، والحجج؟ (٥)وهل العبارات التمييزية ذات الصلة، قد تم التعبير عنها علنا، أم إنها تَكَثَّفت، أم إنها قد تم تخفيفها؟" [37].

يتأكد من هذه الأسئلة أن مقاربة فوداك وريزيغل –كذلك- تولي التحليل اللساني الأهمية القصوى في استقراء أهداف السلطة المراد ممارستها عبر التوظيف اللغوي الموارب والمضلل، على غرار مقاربة فوركلوف. وعموما، لقد

تعددت النظريات والمباحث اللسانية التي انبنت عليها مباحث هذه المقاربة التاريخية للخطاب. بل إنها طالما حاولت التوفيق بين السياق وجزئيات لغوية كثيرة في النصوص والخطابات، فاستدعت نماذج من حقول لسانية متنوعة:

- أنواع الحجج والمهارات التفاعلية الخِطابية القائمة على الخطط الحجاجية[٧]
- المؤشرات المباشرة وغير المباشرة والصيغ الصرفية الدالة على الزمن والمكان
- الألفاظ ودلالاتها القديمة والجديدة
- التحليل الوظيفي النسقي للسياق
- النعوت والمركبات الوصفية
- التماسك التركيبي، والاتساق والانسجام
- الاقتضاء والإحالة
- الأدوات اللغوية والضمائر وإحالاتها التأويلية
- العلاقات النحوية بين أركان الجمل الفعلية والجمل الاسمية والجمل الشرطية(التطابق، الإسناد،..)
- المبالغة(في حالات التضخيم)، الحذف(في حالات الحجب)، تحليل الصور البلاغية(في حالات التلطيف)، التورية(في حالات التضليل والتلاعب والتبخيس)، الإيجاز(في حالات نفي القيمة) والإطناب(في حالات التعظيم والتبئير)..

٣.٢.٤. المقاربة المعرفية الاجتماعية[٨](SCA)[٩]:

جاء في كتاب ***المصطلحات المفاتيح*** لبول بايكر وسيبونيل إليس ما نصه: **"وظفت مقاربة فان دايك السوسيو-معرفية في (C.D.A) نموذجا ثلاثي الأجزاء للذاكرة.." [38].** ومنه نستطيع أن نستهل الحديث عن هذه المقاربة انطلاقا من هذا النموذج الثلاثي المتعلق بذاكرة الفرد المشارك أو الجماعة المشاركة. فالمقصود بالأجزاء هنا هو تعالق ثلاثة أبعاد في البحث المندرج ضمن إطار التحليل النقدي للخطاب، والقائم على البعد المعرفي كما عند فان دايك؛ هذه الأبعاد هي: **الخطاب، والإدراك، والمجتمع.**

إن للخطاب في نظر فان دايك قدرةً هائلة على تيسير سوء توظيف السلطة(ليست السياسية فقط) عبر اللغة، وإعادة إنتاج الصراع بين الطبقات الاجتماعية، سواء كان صراعا ممتدا أو محدودا في تجليات قد تكون ساذجة. ليتأكد اشتراكُ أصحاب المقاربات الثلاث المذكورة لحد الآن، والتقاؤُهم في نقطة مفصلية تشكل بؤرة (C.D.A) عموما؛ وهي ***علاقة التأثير والتأثر بين اللغة والخطاب والمجتمع.*** و" **تجب ملاحظة أن مثل هذه العلاقة أو الترابط بين بنى الخطاب والبنى الاجتماعية ليست ارتباطا بسيطا أو علاقة عِلِيَّة"[39]**؛ أي إنها ليست مجرد علاقة سبب

---

[٧] لم تقدم المقاربة التأريخية للخطاب نموذجا يمكن القول عنه إنه حجاجي صرف، إلى درجة يستحق معها أن يسمى بالمقاربة الحجاجية. والحق أن تفقد المقاربات القائمة لحد الآن في c.d.a يفصح عن غياب أية مقاربة حجاجية بما تحمل الكلمة من معنى. وإنما تعد فوداك وريزيغل أكثر رواد التحليل النقدي للخطاب استحضارا للمباحث الحجاجية.

[٨] اختصار لـــ: Sociocognitive Approach

[٩] بالنسبة لتسمية التحليل النقدي للخطاب(CRITICAL DISCOURS ANALYSIS)، لم يتفق فان دايك مع هذه التسمية، واقترح تغييرها كما يلي: الدراسات النقدية للخطاب(CRITICAL DISCOURS STUDIES). إذ يقول: "نود أن نقترح تغييرها إلى دراسات الخطاب النقدية Critical Discourse Studies لعدة أسباب، أهمها أن دراسات الخطاب النقدية ليست منهجية لتحليل الخطاب،.. إذ إن دراسات الخطاب النقدية تعتمد أي منهج ملائم بتحقيق أهداف مشروع بحثها.." أُنظر **السلطة والخطاب، ص٣١**.

بنتيجة. بل إنها علاقة تفاعلية جدلية، مادام الخطاب ممارسة اجتماعية، ومادام المجتمع هو المرجعية الأولى لأية صناعة خطابية.

وحسب المقاربة السوسيو-معرفية، فإن تلك العلاقة لا تقتصر على اللغة والخطاب والمجتمع فقط؛ وإنما يقر فان دايك بالدور الحاسم للإدراك الاجتماعي الذي يتقاطع فيه الأفراد داخل جماعة بشرية واحدة، أو أكثر(بحسب الروابط والصلات)[١٠]. ففي نظره، لا يمكن تصور علاقات مؤثرة اجتماعيا وسلطويا انطلاقا من تفاعل البنى الخِطابية والبنى الاجتماعية فحسب. إذ إن الممارسات الاجتماعية السلطوية عبر لغة الخطاب لا يمكن أن تفلح في مسعاها إلا في إطار ما يسميه: "**عملية الإدراك الاجتماعي المعقدة، التي تشمل -على سبيل المثال- نماذج عقلية أو غيرها من التمثيلات الإدراكية للمشاركين."[40].**

وعلى الرغم من حتمية تأثير عملية الإدراك الاجتماعي هذه، والخاصة بالنماذج العقلية للمشاركين فيها، في البنى الخطابية والبنى الاجتماعية، فإنها هي كذلك معرضة لا محالة للتأثر بتفاعل الممارسة الخطابية والممارسة الاجتماعية؛ كما يوصي فان دايك: "**وينبغي –أيضا- أن نضع بالحسبان كيفية تأثر مثل هذه النماذج العقلية وغيرها ببنى الخطاب، من ناحية، وتأثير التفاعل فيها (ومن ثم تأثير خطاب المستقبل فيها)، من ناحية أخرى."[41].** لتكون العلاقة التفاعلية الجدلية بين بنية النص وبنية الخطاب وبنيات المجتمع، قائمة على توسط العمليات الإدراكية التي تنخرط فيها عقول المشاركين، سواء أثناء بناء الخطاب وإلقائه(بالنسبة للصانع) أو أثناء مواجهته(بالنسبة للمشاركين المستهدَفين)، أو في مستقبل تأثيراته المنتظرة(بالنسبة للجميع).

يتوخى كل خطاب، ببنيته النصية وعلاقاته التفاعلية، استقطابَ المشاركين أو الفئة المستهدفة بصفة عامة؛ ذلك أنه يستهدف التعبير عن وجهة نظر صانعه والجهة التي يمثلها أو يعتنق فكرها وأيديولوجيتها، وبناء مسلمات معرفية تنصهر مع تمثيلاتهم الإدراكية، أو تعزيز ما كان لديهم من قيم منسجمة مع توجهه. وهنا، يصبح بناء المعرفة وترسيخ الإدراك مظهرا من مظاهر الممارسة السلطوية التي تلهث وراء الهيمنة الاجتماعية. وهذا هو المبدأ الجوهري الذي دعا من أجله فان دايك إلى التحليل اللساني النقدي للخطاب، على أساس مقاربة معرفية اجتماعية، ووفق: "**منظور متعدد التخصصات يجمع ،على الأقل، الأبعاد الثلاثية الآتية: الخطاب، الإدراك، والمجتمع. ويُفضل أن تشمل ،أيضا، بعدا تاريخيا وثقافيا، علما بأنني لا أتطرق لهذين البعدين،.."**[42].

بمقدور المتوسِل بآليات المقاربة السوسيو-معرفية للخطاب مع فانديك، أن يستنبط التقاءها مع باقي المقاربات المتفرعة من (C.D.A) في مسار التحليل وتمثل العلاقة بين لغة الخطاب وبنى المجتمع، ومدى تأثيرها اجتماعيا بوصفها ممارسة سلطوية. كما يمكنه أن يستبين اختلافها مع غيرها في معطى البعد المعرفي/الإدراكي الذي ينتفي مع غيرها. وأكيد أن مرد هذا الاختلاف هو وعي فان دايك بكون المعرفة سلطة في حد ذاتها، وبكون المعتقدات والمسلمات الاجتماعية تتراكم في عقول الأفراد والجماعات عبر قنوات المعرفة على اختلاف طبيعتها. لذلك، لا يمكن الحديث عنده عن علاقة بين الخطاب والسلطة إلا في إطار المقدرة الإدراكية للمشاركين.

---

[١٠] تتقاطع مقاربة فان دايك السوسيو–معرفية في شقها الاجتماعي، مع تصور عالم الاجتماع Serge Moscovici الذي يرى أن المعتقدات والقيم، ووجهات النظر الخاصة والمشتركة، والافتراضات ومصادر التأويلات، والأنظمة المفهومية، وشبكات التعاقدات أثناء التواصل، كلها أمور لا تأتي فقط من موارد الأعضاء الخاصة بالفرد الواحد فقط، وإنما هي قدرات ومكتسبات مشتركة بين أعضاء البيئة الاجتماعية. ومن ثم فإن إنتاج الخطاب وتفسيره يستدعي الإدراك المشترك كما يستدعي الخاص. وفان دايك ،وإن كان هذا التصور حاضرا في حل مواقفه من العلاقة بين الخطاب والمجتمع، يتخذ الإدراك الخاص أو المشترك الوسيط الحاسم في الإنتاج وفي التفسير، بل إنه ينفي أية تأثيرات متبادلة بين البنى الخِطابية والبنى الاجتماعية دون تدخل المعرفة الاجتماعية المشتركة.

لقد أشار فان دايك إلى أن الأغلبية من البحوث النقدية للخطاب تدرس العلاقة المباشرة بين المجتمع أو السلطة الاجتماعية والخطاب، لكنه نفى عن هذا الصنف من البحوث النجاعة والدقة؛ وأكد بالمقابل أن هذا الربط المباشر لاوجود له في الإطار النظري الذي يشتغل وفقه؛ إذ يقول: **"ولا يوجد أي تأثير مباشر للبنية الاجتماعية في النص أو الحديث،.. وبعبارة أدق: يتوسط الإدراك الشخصي والاجتماعي دائما بين المجتمع أو الأوضاع الاجتماعية والخطاب،.."[43].**

وصحيح ما يقول فان دايك، لأن الفاعلين الاجتماعيين المنخرطين في الممارسة الخطابية الاجتماعية يتلقون الفحوى بخبرات سابقة(قد تكون متفقة أو مخالفة) فيشركون أذهانهم مكرهين في عمليات عقلية عميقة ومعقدة مثل الرقابة والمقاومة والتأويل والتمثيل، كل ذلك عبر التفاعل اليومي. فتجد هذه الذوات أنفسها في خضم تلاقح معرفي واحتكاك موقفي يكسبها تغيرات جديدة في مكتسباتها بطريقة لا واعية. وقد تحمل هذه المكتسبات قناعات جديدة، فتكرس المعرفةُ أيديولوجيةَ صانع الخطاب، وتعدل تمثل الأحداث الاجتماعية. وهذا بالتحديد هو ما يؤثر في المشاركين وحتى في الممارسة الاجتماعية المعنية سلطويا.

إن دور التوسط الذي ينهض به الإدراك كما أوضحه فان دايك في معظم بحوثه المنضوية تحت مسمى الدراسات النقدية للخطاب، يجعل تحليل سوء توظيف السلطة بواسطة اللغة وإعادة الإنتاج الخطابي لها، مؤسسا بالضرورة على: **" مثلث: الخطاب، والإدراك والمجتمع،.."[44].** لذلك، فإنه لا مناص من الاستناد إلى هذه المفاهيم الثلاثة المتعالقة والمتطالبة في نظره؛ إذ: **"يحتاج أي نوع من دراسات الخطاب النقدية إلى الاهتمام بهذه الأبعاد الثلاثة، حتى عندما نريد التركيز على واحد أو اثنين منهما."[45].**

غير أن فان دايك لا يتصور العلاقة بين هذه الأبعاد الثلاثة مغلقة أو رافضة لغيرها من الأبعاد، وإنما يستحضر بعدين آخرين سبق أن تحدثنا عن أولهما في المقاربة التاريخية للخطاب مع فوداك وريزيغل، وسنتحدث عن ثانيهما مع مقاربة فانلوفين أسفله(مقاربة الفاعل الاجتماعي)، وهما: التاريخ والثقافة. فقد صرح فان دايك بأن الأبعاد الثلاثة المركزية في مقاربته ،وإن كانت لازمة، فإنها غير كافية. وأن كل بحث نقدي لساني للخطاب يحتاج إلى بعدين آخرين: **"أحدهما: التاريخ، والآخر: الثقافة.."[46].** معنى ذلك أن تحليل الخطاب في علاقته بالمجتمع وما لأفراده من معارف ومعتقدات، يجعله ممارسة اجتماعية؛ والممارسة الاجتماعية تقع في فضاء زمني له خصائص ومؤثثات معلومة ومبثوثة، كما أنها، بوصفها اجتماعية معرفية، لا يمكن أن تنفك عن البعد الثقافي. وعليه، فإن أي تفسير اجتماعي معرفي لابد وأن يصاحبه نظر في العصر أو الفترة أو المرحلة، وفي البنيات الثقافية التي تتعالق مع شبكة العلاقات المعرفية للمشاركين.

يتبدى بكل وضوح ضلوع المقاربة السوسيو-معرفية في الاشتغال اللساني الصرف في علاقته بالمجتمع، كجل المقاربات الأخرى المنضوية تحت لواء نظرية (C.D.A)؛ وهي مقاربات، عموما، تركز: **"على أنظمة النص والحديث وبناها التي قد تعتمد على الأوضاع الاجتماعية للاستخدام اللغوي وثيق الصلة، أو تغايرها، أو التي قد تضيف إلى عواقب اجتماعية معينة للخطاب، كالتأثير في المعتقدات الاجتماعية وأفعال المتلقين لها"[47].** ففي كل تحليل قائم على المقاربة السوسيو-معرفية، نجد في شقه اللساني مباحث وقضايا لسانية كثيرة، وتركيزا على الاختيارات اللغوية في مختلف المستويات اللغوية، مثل[48]:

- التحليل اللساني الوصفي(الصوتي، والمعجمي، والدلالي)
- التحليل التداولي لأفعال الكلام والأفعال التواصلية
- التحليل البلاغي

- التحليل الأسلوبي
- تحليل البنى الجزئية والكلية
- تحليل المحاورة في إطار التفاعل الكلامي
- التحليل السيميائي للأصوات(في بعدها التطريزي/العروضي)
- تحليل الصور والحركات...

والأكثر من ذلك، يجدر بنا أن نحيط القارئ علما بوعي فان دايك بالطرائق الكمية وأهميتها في تحليل الخطاب الفاضح لسوء توظيف السلطة بواسطة اللغة. إذ أشار في كتابه المرجعي(***السلطة والخطاب)*** إلى أهمية الدراسات التي: **"تعتمد على بيانات تجعلها كمية، كما هو الحال بشكل متنامٍ في علم لغة المدونات corpus linguistics، الذي يقدم مناهج جديدة لبحوث دراسات الخطاب النقدية."[49].** وهي مناهج تعتمد على ما تقدمه التكنولوجيا الرقمية من خدمات إحصائية لأوجه توظيف المفردات والصيغ التركيبية والأساليب والحجج، وغيرها؛ من أجل تعليل مستنتجات التحليل النقدي للنصوص والخطابات. غير أن فان دايك لم يسبق له أن وظف أمثال هذه المناهج، وإنما أشار من خلال ذكرها إلى الدور الحاسم للبعد الكمي. وهو بعد حاضر بقوة مع مقاربة بارتينغتون(٢٠٠٤) وبرايك(٢٠٠٦)، كما سنوضح أدناه.

٤.٢.٤. مقاربة الفاعل الاجتماعي/(SAA)[11]:

يعتبر ***تيو فان لوفين*** رائد هذه المقاربة منذ سنة ١٩٩٦، حيث ركز في جل أبحاثه على تمظهر الفاعل الاجتماعي.[50] إذ ينطلق من أهمية الممارسة الاجتماعية في إنتاج الخطاب وتحليله، لأن الحدث الاجتماعي في نظره يشكل تجليا للخطاب اللغوي الصادر عن فاعلين اجتماعيين متدخلين في بناء النص والتفاعل الخِطابي في سياق اجتماعي معين. ومعنى ذلك أنه ينظر إلى الخطاب بوصفه ممارسة لغوية تحمل في تفاصيلها الدقيقة آثار الفاعل الاجتماعي وخصوصياته المنبثقة من الممارسة الاجتماعية والممتدة فيها، وبالنتيجة في الحدث الاجتماعي.

لذلك، فقد أشار إلى تعامل علوم مثل الأنتروبولوجيا وعلم الاجتماع مع الخطاب، إذ إن الممارسة الاجتماعية في هذين العلمين هي أساس التمثيل الاجتماعي؛ أي إن تمظهر مقصودات الفاعلين الاجتماعيين لا يتم إلا في إطار حدث اجتماعي ناجم عن ممارسة اجتماعية. الشيء الذي دفعه إلى تقديم مثال آخر يناقض هذه النظرة إلى الخطاب واللغة عموما، وهي نظرة علم اللسانيات؛ إذ يقول: **"أما في علم اللغة، فقد كانت الأمور تجري على طريقة أخرى، حيث إن النظام(القواعد والنماذج) يولد عمليات مركبات، بدلا من عمليات(ممارسات) توليد نظام(مؤسسات وأشكال محددة من المعرفة)[51].** ويضيف أن انفتاح علم اللسانيات -يقصد اللسانيات الوصفية- على الاشتغال على النص، كشف عن عجز مرده إلى إغفال أبعاد الخبرة والمعرفة، والإغراق في تجريد اللغة. فمنذ أن **"بدأ علماء اللغة دراسة النصوص، في السبعينات، وُجدت العديد من الصعوبات التي تصورن إنتاج النصوص وتفسيرها، دون موارد التجربة، والمعرفة العالمية أو المعرفة الخلفية."[52].**

من مقطعَي فان لوفين الأخيرين، يظهر بجلاء أنه يضع قطيعة ،في نظرته للخطاب، مع اللسانيات الوصفية ولسانيات النص، مقدما مؤشرا علميا استقاه من صلب المناهج الصارمة والتجريدية لهذين التخصصين؛ ومحيلا إلى إقصائهما للفاعلية الاجتماعية في صناعة النصوص والخطابات بل الكلام بوجه عام. وفي المقابل، يدعو إلى استحضار النظرية المعرفية والخبرة الإنسانية-خاصة الاجتماعية- في مقاربة الخطاب مقاربة مثمرة تجمع بين البحث اللساني

[11] اختصار لـــ: Social Actors Approach

والوعي بقدرة الفاعل الاجتماعي والممارسة الاجتماعية على تيسير بناء منهج علمي دقيق، والكشف عن المحركات الخفية والمقصودات الحقيقية لكل ممارسة خِطابية.

تقوم مقاربة فان لوفين في التحليل النقدي للخطاب على زمرة من المفاهيم التي يعد مفهوم **التسييق/المساوقة**(إعادة صياغة السياق: **Recontextualization**) الذي استعاره من برنشتاين، أبرزَها على الإطلاق؛ إذ يقول: **"المنهج الذي يتأسس عليه إطاري هو مفهوم برنشتاين لإعادة صياغة السياق"[53].** وهو مفهوم اشتغل به برنشتاين في المجال التربوي؛ فمن خلاله أوضح أن المعرفة المنتجة تُنقل من السياق الذي أُنتجت فيه إلى السياق التربوي بعد أن يتم تسييقه: أي تكييفه وجعله ملائما لنمط الخطابات التربوية. وبتعبير آخر، إنه عملية تحويل دلالي وفقا لمبادئ إعادة صياغة النصوص التي تتناسب بشكل انتقائي، مع تركيز المعرفة المنقولة وربطها بالخطابات الأخرى لتشكيل نظامها وترتيبها الخاصين[54].

غير أن فان لوفين طور هذا المفهوم وأعطى حمولته المعرفية والمنهجية صبغة لسانية جعلته مركز نظرية جديدة في تحليل الخطاب. فقد صرح أن عمله: **"يوسع هذا المفهوم خارج الخطاب التربوي، ويبدأ من افتراض أن جميع الخطابات إعادة صياغة للممارسات الاجتماعية، وأن جميع المعارف ،بالنتيجة، تستند في نهاية المطاف إلى الممارسة العملية"[55].** وبذلك يظهر التقاء طريقة اشتغال المفهوم عند كل من برنشتاين وفان لوفين في الوعي بعملية النقل من سياق معين إلى سياق الخطاب الجديد.

ينبغي أن ننتبه في هذا الالتقاء، إلى اختلاف دقيق في التصور بينهما قبل أن ننظر في التسويغ الجديد لمفهوم التسييق في نظرية الفاعل الاجتماعي؛ فالسياق الأصل عند برنشتاين هو سياق إنتاج المعرفة، في حين أنه عند فان لوفين هو الممارسة الاجتماعية. لتكون نقطة الالتقاء الوحيدة بينهما هي عملية النقل من سياق (أ) إلى سياق (ب). أما منهج التحليل في مقاربة فان لوفيين التي تعنينا هنا، فبعيد كل البعد عن مناهج علوم التربية أو المدرسة؛ لكن، بالطبع قد تطبق المقاربة على خطاب تربوي ما باعتباره متنا، ولكن ليس كما طبقها برنشتاين. فكيف تشتغل مقاربة فانلوفين وفقا لإعادة صياغة السياق؟

تتناول مقاربة فان لوفين الممارسة الاجتماعية بوصفها المتدخل الأول في بناء أي خطاب. فمهما اختلفت أنماط الخطابات وخصوصياتها، لا يمكن أن تنفصل عن تأثير الممارسة الاجتماعية التي يتحدد تدخلها في الاختيارات اللغوية وأساليب التعبير والصيغ المنتخبة من قبل منشئ الخطاب نفسه. معنى ذلك أنها هي التي تفرض على مؤلف الخطاب كل كبيرة وصغيرة في السياق الجديد، وأن دوره يقتصر على إعادة صياغة ممارسة ما لغويا؛ وقد يُعتبر وسيطا بين ما مورس اجتماعيا والخرج النهائي للخطاب.[١٢]

إن ما يظهر قوة التأثير المطلق للممارسة الاجتماعية حسب فان لوفيين هو عدم إيلائه الأهمية الكبرى للخطاب وعناصره من جهة بنائه؛ إذ يرى أن أيا منها مرشح لأن يستغنى عنه أو أن يتم تحويله خلال عملية إعادة الصياغة، مثل المتدخلين وأفعالهم. بل إنه يرى أن عملية إعادة الصياغة بمقدورها أن تقحم عناصر أخرى تشترطها الممارسة الاجتماعية، بالرغم من أنها ليست من عناصر الخطاب. في ذلك يقول: **"وفي عملية إعادة الصياغة، يمكن استبعاد أي من جوانب الخطاب أو تحويلها، وإعادة الصياغة قد تضيف أيضا عناصر مثل أغراض الإجراءات**

[١٢] نختلف وهذه النظرة لموقع منشئ الخطاب داخل العلاقة الناجمة عن إعادة صياغة السياق كما عند فالوفين؛ إذ إن الخطاب لن يسلم من البعد الذاتي، خصوصا وأنه يؤلف الخطاب بناء على انفعالات أو هواجس أو ردود أفعال. والحق أن يقال إن الممارسة الاجتماعية تظل باسطة سلطتها عليه وإن حاول الاستقلال بأسلوبه وأيديولوجيته.

ومشروعيتها."[56]. هكذا تكون مقاربة فان لوفين للخطاب مضعفة له مكرسة لمحدوديته، على الأقل في مستوى البناء.

يترتب على هذا النظر ضمور لقوة الخطاب، وهيمنة لافتة النظر للممارسة الاجتماعية. مما يجعل عناصرها أكثر حضورا وتأثيرا في الخطاب من عناصره. وإن كانت هناك مبادئ لإعادة صياغة السياق أو النص، فإنها ستكون العامل المسؤول عن ثقل كفة عناصر الممارسة الاجتماعية على حساب كفة عناصر الخطاب؛ أو لنقل إن المنقول في الخطاب يظل تابعا للممارسة الاجتماعية وإنْ في السياق الجديد، خصوصا وأن صاحب المقاربة يضيف بأن تلك المبادئ التي كانت موضوعا لكتابه المرجعي (الخطاب والممارسة الاجتماعية): **"ترتبط بالعناصر الرئيسية للممارسات الاجتماعية: الفاعلون وأدوارهم وهوياتهم وأفعالهم وأنماط أدائهم، وإعداداتهم، وتوقيتاتهم."[57].** مع تشديده على إمكانية استبعاد أي عنصر من عناصر الممارسة الخِطابية.

جلي أن مقاربة الفاعل الاجتماعي تؤسس أرضية معرفية ومنهجية تضع الممارسة الاجتماعية في موقع الصدارة من بين آليات بناء الخطاب؛ أي إن الخطاب تمظهر لكل ما يُفعل داخل إطار مجتمعي معين. والحق أن فان لوفين يظل مقتنعا بجدوى هذه النظرية حتى إذا تعلق الأمر بتحليل النصوص والخطابات. فمنذ مقدمة كتابه(الخطاب والممارسة الاجتماعية)، وهو يترجم وعيا كهذا في مواضع مختلفة ومتجاورة؛ حيث تلتف كلها حول فكرة مؤداها أن الممارسة الاجتماعية هي المؤسسة للخطاب والوسيلة الأولى لتحليله، بل إن هذه الفكرة تتجاوز النصوص والخطابات لتشمل كل أنماط التمثيلات المعبرة عن المعنى، سواء بواسطة اللفظ أو غيره، وحتى التمثيلات المفرطة في التجريد، خصوصا وأن الخطاب عنده لا يقتصر على الإنتاج أو الأداء الكلاميين، وإنما يشمل كل ما يعبر عن معنى كما يقول: **"الخطاب، كما أتصوره .. يمكن أن يتحقق، ليس فقط لسانيا، ولكن أيضا عن طريق وسائط شبه سيميائية أخرى."[58].**

من أبرز ما قاله فان لوفين في هذا الصدد، نورد المقطع الآتي: **"جميع النصوص وجميع تمثيلات العالم وما يجري فيها، مهما كانت مجردة، ينبغي أن تفسر على أنها تمثيلات للممارسة الاجتماعية."[59].** ومنه يظهر أن الممارسة الاجتماعية تشكل محور عمليتين أساسيتين وثيقتي الصلة بالخطاب: إنتاجه وتفسيره. فقد اشترط في أي تفسير لأنماط الخطابات وعلى اختلاف وسائلها التعبيرية، أن يقوم على وعي بأن تلك الخطابات ليست إلا تمثيلات وتمظهرات لغوية وأيقونية لما يقع في المجتمع من ممارسات: الأنشطة والإجراءات والأفعال الصادرة عن الفاعلين الاجتماعين. وإذا ما قابلنا نظرة فان لوفين إلى كيفية إنتاج الخطاب بنظرته إلى كيفية تفسيره، نخلص إلى أن الفاعل الحقيقي الذي ينتج الخطاب، والذي يُحتاج إليه في مرحلة تفسيره، هو الفاعل الاجتماعي الذي لا يمكن أن تنشأ ممارسة اجتماعية من دونه. لكن الآلية التي يبنى عليها تحليل الخطاب وفق هذا المنظور هي مفهوم إعادة صياغة السياق، ليكون الخطاب التمثيل اللغوي أو السيميائي لأنشطة الفاعل الاجتماعي في ممارسة اجتماعية تستحق التحليل، أو لنقل الممارسة ذات الوقع الأكثر أهمية داخل المجتمع.

يحتل مفهوم ***الممارسة الاجتماعية*** **(Social Practice)** في مقاربة فان لوفين، موقعا مركزيا إلى جانب مفهوم الفاعل الاجتماعي. لذلك، نجد أنه من الواجب الوقوف عنده لتبين حمولته المعرفية في حقل تحليل الخطاب. وقد عرفها بأنها طرق لإنجاز الأفعال والقيام بالأمور، وتأثيث العلاقات المتفاوتة الدرجات، والخادمة للمصالح؛ وكل ما يحقق التنسيق الاجتماعي بصفة عامة. وتنظيمها يتم بطرق متعددة مثل: وضع خطط ووصفات صارمة، أو الخضوع للتقاليد والعادات، أو رؤى الخبراء من ذوي القدرة على التحكم، أو تأثيرات النماذج الفاعلة ذات الأدوار الكاريزمية، أو بواسطة ما تفرضه الموارد التكنولوجية من قيود وإكراهات[60].

يتهيأ للممارسة الاجتماعية وفق هذا المنظور، جسر يتوسط بينها وبين النص والخطاب؛ وهو ما سماه بإعادة صياغة السياق من المقام الاجتماعي إلى المقام النصي. ففي الممارسة الاجتماعية، لا سبيل إلى إضمار أي عنصر من عناصرها الواقعية والفعلية التي لا يمكن حجبها إلا في الممارستين النصية والخطابية. وكيفما كان نمط الطرق التنظيمية المذكورة أعلاه في أية ممارسة اجتماعية، فإن إعادة الصياغة تتحكم في عدد العناصر المنقولة نصيا وخِطابيا، وشكلها وطريقة تمثيلها: سواء بالتصريح أو التضمين أو الحذف.

معنى ذلك أن المحطة التي تتدخل فيها اللغة لبناء الخطاب وإعادة صياغة الممارسة الاجتماعية، تعرف تكييفا انتقائيا للعناصر التي يمكن أن يطالها التمثيل اللغوي، والأخرى التي تبقى غير ممثلة لا نصيا ولا خطابيا. وبعبارة أدق: تحلل مقاربة الفاعل الاجتماعي الخطاب من جهة تشكله، ودوافع انتقاء ما يمثل من عناصر الممارسة الاجتماعية، وما يستبعد منها. كما تركز على كيفيات التمثيل من خلال الاختيارات اللغوية التي توفرها مستويات اللغة. أي كيف يتم تمثيل العناصر المنتقاة لغويا؟ وكيف يتم التعتيم على العناصر غير المنقولة من الممارسة اللغوية إلى النص والخطاب؟

لذلك، فإن فان لوفين في تحليله للخطاب وفق مقاربة الفاعل الاجتماعي، ينطلق من افتراض جميع العناصر التي يمكن أن يكون لها حضور فعلي في الممارسة الاجتماعية، ثم يشرع في تعقبها في الممارستين النصية والخطابية بالتزامن، مستحضرا عامل إعادة الصياغة؛ كل ذلك من أجل التحقق من العناصر الممثلة والأخرى المغيبة وأسباب تغييبها. ومن أبرز عناصر الممارسة الاجتماعية التي يعتبرها في التحليل، نذكر: المشاركين، الأحداث، أوضاع الأداء، أساليب التمثيل اللغوية، الأزمنة، الأمكنة، شروط أهلية الأماكن، شروط أهلية المشاركين، الموارد: الأدوات والمواد، شروط أهلية الموارد.

بالنسبة لمفهوم الفاعل الاجتماعي، ينطلق فان لوفين من طرح السؤال الآتي: **"كيف يمكن تمثيل الفاعل الاجتماعي في الخطاب؟"[61]**. وقد اعتبره سؤالا نحويا صرفا، مستندا في هذا إلى نظرية النحو النسقي مع هاليداي؛ ففي نظره، يجب فهم النحو باعتباره معنى مفترضا (ماذا يمكن أن يقال؟)، وليس باعتباره قاعدة صارمة(ماذا يجب أن يقال؟). بذلك، يكون قد تبنى نظرة نسقية لإعمال النحو، أي إنه يتخذ النحو وسيلة لاستنطاق النسق اللساني للخطاب بخصوص كيفية تمثيل الفاعلين الاجتماعيين، وطبيعة القيم المسندة إليهم.

إن منهج فان لوفين في الكشف عن تمثيل الفاعل الاجتماعي يبين عن مخالفته لكل المقاربات المنضوية تحت لواء التحليل النقدي للخطاب، إذ عكس اتجاه المسار الذي يتخذه التحليل؛ فإذا كانت المقاربات الأخرى تستهل تحليل الخطاب بوصف الممارستين النصية والخطابية، فإن مقاربة الفاعل الاجتماعي تنطلق من وصف الممارسة الاجتماعية ابتداءً، أي إنها تتصيد تمثيلات الفاعلين الاجتماعيين من خلال جرد يسميه فان لوفين(الجرد الدلالي الاجتماعي لطرق التمثيل). والحق أنه يحاول إيجاد الدلالة النصية ونظيرتها الاجتماعية كما يقول: **"خلافا للعديد من التوجهات اللسانية في التحليل النقدي للخطاب، لن أستهل العمل بالعمليات اللغوية، مثل التأسيم وحذف الفاعل، أو بالفئات اللغوية مثل فئات التعدية، ولكن بدلا من ذلك سوف أضع جردا دلاليا-اجتماعيا للطرق التي يمكن بواسطتها تمثيل الفاعلين الاجتماعيين، وإرساء الأهمية الاجتماعية والنقدية للفئات، قبل أن أنتقل إلى مسألة كيفية تحقيقها لغويا"[62].**

نستطيع –إذن- أن نخلص إلى أن مقاربة الفاعل الاجتماعي تميل في تحليلها النقدي للخطاب إلى التركيز على فهم الممارسة الاجتماعية وعناصرها، ورصد المؤشرات الدلالية المحيلة إلى الفاعل الاجتماعي؛ وتؤجل تحليل الممارسة

اللغوية بالبحث اللساني الصرف في مرحلة موالية. ولعل ذلك مبرر بإيلائه الأهمية القصوى للنشاط الاجتماعي، والوعي بقدرته على فرض شكل الخطاب وطرق التمثيل.

٥.٢.٤. لسانيات المدونات/ (CL)[١٣]:

تعددت التصنيفات الابستمولوجية المقترحة للسانيات المدونات، وتباينت بخصوصها آراء الممارسين المتخصصين في هذا المجال؛ فقد اعتُبرت تخصصا علميا جديدا، ومنهجا في الدراسات اللغوية، ومقاربة نظرية، وإطارا مفهوميا مستقلا، ونموذجا نظريا معاصرا في تحليل الخطاب. وكيفما استقر تصنيفها العلمي، فإنها تبقى فرعا لسانيا معاصرا -على كل حال- يقوم العمل في إطاره على تجميع مخزونات كبيرة من النصوص لتحليلها تحليلا كميا وصفيا، بهدف تحصيل معنى أو معرفة.

بدأت أولى إرهاصات هذا التوجه تظهر منذ الستينات حينما قام Nelson Francis ببناء ذخيرة لغوية تم استخدامها على نطاق واسع، وهي التي ستسمى فيما بعد بمدونة براون(Brown Corpus). وسيتم نسخ أجزاء مهمة منها في مدونة أخرى بأوسلو، والمسماة بمدونة لوب(Lob Corpus)، مع تضمنها لنصوص من الإنجليزية البريطانية. ومع هذا العمل، باتت أولى دراسات المتن القاعدي، والمتن اللغوي، والمتن الثقافي ممكنة ومتاحة[63].

وفي سنة ١٩٩٠، انطلق مشروع المدونة العالمية للغة الإنجليزية(*International Corpus of English* (*ICE*؛ إذ قام عدد كبير من الباحثين الموزعين في أربعة وعشرين فريقا بحثيا بإعداد ذخيرة لغوية إلكترونية من مختلف الأقطار الأنجلو-سكسونية، مشابهة لمدونتي براون ولوب. وكان الهدف هو تجميع المواد الكافية للدراسات المقارنة، بما في ذلك دراسات المتون الثقافية.

كانت مدونة براون –على تواضعها- رائدة، وتقوم فقط على مخزون لغوي يصل حوالي مليون كلمة؛ لكنها أدخلت إلى الحاسوب عن طريق البطائق المضغوطة والأشرطة الورقية. ومع تطور الأبحاث العلمية في كل المجالات، نشأ عدد لا يحصى من المتون اللغوية المختلفة، بما في ذلك علم اللغة العام، وخاصة تحليل الخطاب. فاستخدمت في علم الأديان والدراسات الأدبية والأبحاث اللغوية(خاصة المعجمية والمصطلحية)، والعلوم السياسية والتحليل اللغوي للخطاب. وبدأ المختصون في العلوم القانونية والصحفيون في استثمار أرشيفات النصوص التي كانت بمثابة متون لغوية أولية.

وقد أبدى العاملون في مجال الذكاء الاصطناعي اهتماما مبكرا بالدور الذي يمكن أن تلعبه الآلة في التدريس، وإنتاج اللغة الطبيعية وفهمها. وهناك استخدامات حيوية للذكاء الاصطناعي في المعالجة الآلية للغة، أسهمت في تحسين تقنيات الترجمة عند الإنسان والآلة على حد سواء. ولكن في علم اللغويات الصرف، حققت نتائج طيبة وكان لها أكبر تأثير، وعززت معرفة اللغويين بكيفية هيكلة اللغة واستخدامها في التواصل، وفي التعبير عن القيم والتأثير على سلوك المحاورين ومعتقداتهم عبر الخطاب[64]. فباتت المعالجة الحاسوبية للمتون اللغوية إحدى أهم المقاربات الحديثة والمعاصرة في تحليل الخطاب بناء على تجميع المتون المنسجمة من حيث مجالها وموضوعها.

تُعرَّف لسانيات المدونات حسب اثنين من أبرز روادها المعاصرين(Mcenry and Welson) بأنها دراسة اللغة القائمة على انتقاء نماذج من الاستعمالات اللغوية في الحياة الواقعية [65]. إنها تخصص لساني يستخدم نظام (Software) في الحاسوب لاختبار الترددات والعلاقات بين الكلمات والصيغ والتراكيب في مجموعة كبيرة من النصوص التي يتم ترميزها إلكترونيا. ويرى رائد آخر من رواد لسانيات المدونات (بول بايكر) أن الخدمة الأولى التي تقدمها هي

[١٣] اختصار لـــ: Corpus Linguistics

الحد من تحيز الباحثين وتفادي الذاتية والأيديولوجية في تحليل الخطاب، مما يتيح فرص استدعاء النظريات اللسانية الملائمة والقادرة على تقديم نتائج علمية دقيقة، والفرضيات غير المتاحة خلال القراءة السطحية للخطابات؛ وذلك من خلال الاشتغال على عينات لغوية، والبيانات التي أسفر عنها الكشف الإحصائي، وتصنيف الكلمات المفاتيح والاستعمالات المكررة[66].

لقد انبثقت من لسانيات المدونات مقاربة جديدة في التحليل النقدي للخطاب، وهي ما سماه (Alain Partington 2004) بدراسات الخطاب بواسطة المتون:((corpus-assisted discourse studies (CADS) والتي تعتمد نهجا حاسما في التحليل. وتستند دراسات (CADS) إلى إجراءات برامج الحوسبة[١٤] لرصد أنماط الكلمات وأصنافها وصيغها والتراكيب والترددات والتجمعات المعجمية والدلالية، والعلاقات في الذخائر اللغوية الضخمة في عدد من الخطابات المنسجمة، من خلال تجميع البيانات وتحليلها بناء على النسب المئوية المحصل عليها؛ لتستخدم أدلة على حقائق الخطاب المضمرة أو وجود مواقف أيديولوجية أو نمط الهيمنة المستهدفة.

بذلك، تكون دراسات الخطاب بواسطة المتون(CADS) مقاربة في التحليل النقدي للخطاب، تخول للباحث أن يرصد مواطن القوة في الخطابات انطلاقا من الذخيرة اللغوية المعجمية والمصطلحية، والمعلومات السياقية الجملية والنصية، والتناص والأسلوب، والصيغ والتراكيب الغالبة والمتكررة بشكل لافت؛ وأن يفسر النتائج بناء على المعطيات الإحصائية لكل تلك الاستخدامات اللغوية. ومن أبرز الأعمال التطبيقية المنبنية على هذا النوع من الدراسات اللسانية النقدية للخطاب، تلك التي قدمها هونستون(٢٠٠٢) وفوركلاف(٢٠٠٠) وبارتينغتون(٢٠٠٣) وبايكر(٢٠٠٥).

برزت في خضم التعالقات البحثية بين أهداف نظريتي التحليل النقدي للخطاب ولسانيات المدونات قضية إجرائية ومنهجية، وهي التي اصطلح عليها الباحثون في المجالين بالتآزر والتفاعل (*synergy* between CL and CDA). ذلك أن نظريات استخدام اللغة التي يقوم عليها التحليل النقدي للخطاب بكل مقارباته تركز بالأساس على البحث في السمات النحوية بشكل كبير، ومع منهج لسانيات المدونات ينضاف الاهتمام بالسمات المعجمية كذلك. من جهة أخرى، لاحظ المختصون أن بمقدور الإجراءات المنهجية الإحصائية والكمية والوصفية للسانيات المدونات(CL) أن تيسر الكشف عن الظواهر اللغوية المعلنة من قبل رواد مقاربات (CDA) والتي تشكل محور اشتغالها في تحليل الخطاب، وتحديد نسب ورودها وترددها.

وفي الجهة المقابلة، أصبحت لسانيات المدونات تستفيد من الإطار النظري للتحليل النقدي للخطاب في تفسير النتائج المحصل عليها بعد إجراء العمليات الإحصائية والتصنيفية لمتون الخطابات المدروسة من المباحث الحجاجية والبلاغية، والتأويلات المرتبطة بتكرار بعض الصيغ كالمبني للمجهول والتعدية..؛ لذا فإن تلاقح النظريتين أعطى فرصة للتوفيق بين الدراسة الكمية مع لسانيات المدونات، و الدراسة التفسيرية الكيفية مع التحليل النقدي للخطاب [67]. من هنا انبثقت مقاربة لسانيات المدونات بوصفها مقاربة فعلية في نظرية التحليل النقدي للخطاب، باقتراح من بول بايكر وألان بارتينغتون[68]

٦.٢.٤. التحليل التنظيمي للخطاب/(DA)[١٥]:

التحليل التنظيمي ،في جوهره، مقاربة لسانية-فلسفية في التحليل النقدي للخطاب؛ وهي -كما وُضِّح من قِبل (Jager و Maier 2009) موجهة نحو مجالات علوم الثقافة ونظرية المعرفة وجميع مناهج تحليل الخطاب، غير أنه

[١٤] من أبرز هذه البرامج: نظام السوفتوير، ومُقَطِّع ستانفورد، وبعض المقاييس الإحصائية القائمة على معادلات رياضية: معامل الاحتمال اللوغاريتمي، مربع كاي، معامل Z، معامل T، معامل الغرابة...

[١٥] اختصار لـــ: Dispositive Approach

أقل تركيزا على الأبعاد الهيكلية والعلاقات والسمات النحوية واللغوية للنص، أو ما يسمى بالمستوى الجزئي للخطاب (micro-level)، في حين تركز المقاربة التنظيمية للخطاب بشكل كبير على مستواه الكلي (macro-level) .

مقاربة التحليل التنظيمي امتداد لتحليل الخطاب، تسعى إلى تحصيل المعارف الواردة في الخطابات وشبكات تنظيماتها، وكيفيات ارتباطاتها الوثيقة بعلاقات السلطة المركبة[69]. إنها استراتيجية تحليلية تساعد على دراسة الأبعاد والمستويات المعقدة والمتعددة للسلطة التي تصعد من خضم العلاقة الدينامية بين الخطابات والإجراءات والموضوعات والأحداث والأنشطة الإنسانية[70]. ويستخدم محللو الخطاب هذه المقاربة ناظرين إلى البيانات والمعطيات الخطابية بتركيز مفرط على ما يُفعل ويُنجز في علاقته بما يقال أو يكتب. وهذا يعني البحث عن الآثار التأسيسية أو الأيديولوجية لانتقاء قول بطريقة مخصوصة دون آخر، ودون طرائق غزيرة ومتاحة. وعلاوة على ذلك، تتجاوز هذه المقاربة في تحليل الخطاب المجال الحصري للغة، وتصر على تحليل العناصر غير اللغوية بشكل كبير.

تجدر الإشارة إلى أن المقاربة التنظيمية في التحليل النقدي للخطاب، تقوم على أساس نظرية ميشيل فوكو في الخطاب، وخاصة آراءه في كتيبه (نظام الخطاب)، كما يصرح بول بايكر: "**انبنت مقاربة جاغر(٢٠٠١) على الجوانب النظرية والمنهجية لتحليل الخطاب الفوكوي والتحليل التنظيمي"[71].** إذ إن الباحث المتوسل بها تستوقفه جملة مسائل تأتي في صلب نظرية فوكو، مثل قضية ماهية المعرفة وكيفية نشوءها وانتقالها عبر الخطابات، ووظائفها في تشكيل مواضيع مجتمع ما، ومدى تأثيرها على بناء المجتمع وفق مقاييس مقصودة[72]. وهو الأمر الذي يقر به الكثير من رواد (CDA) أمثال فوركلوف الذي استشهد بميشيل فوكو ودور نظريته الخطابية في نشوء اختلافات بين مناهج المشتغلين الأوائل في التحليل النقدي للخطاب. فقد خصص له في كتابه(١٩٩٢) الفصل الثاني كاملا، وعنونه بـ(ميشيل فوكو وتحليل الخطاب)[73].

وبالعودة إلى فوكو(٢٠٠٢) يتضح موقفه من بنية الخطاب؛ فالروابط فيه خفية متوارية خلف العلاقات بين الكلمات الملموسة الموجودة على سطح النص[74]. والخطاب مع محتوياته المتكررة ورموزه واستراتيجياته يؤدي إلى بناء المعرفة وتوطيدها، وبالتالي تكون له آثار مستدامة على السلطة الممارسة من خلاله نفسها، لأن الخطابات تتعدى الفردانية، ولأنها تؤخذ عن حياة متطورة، خاصة أو عامة[75].

إن نظام الخطاب حسب فوكو عبارة عن مجموعة غير متجانسة تماما، تتألف من الخطاب والمؤسسات والأشكال المعمارية والقرارات التنظيمية والقوانين والتدابير الإدارية والبيانات العلمية والمقترحات الفلسفية والأخلاقية والفيلو-أنثروبولوجية؛ أي إنه كيان يبقى غير متجانس [76]. والنظام –بهذا المعنى- هو الأساس الصافي/الخالص الذي يمكن النسج بين عناصره لتشكيل خطاب[77]. فيغدو توليفا انتقائيا من المواد اللغوية وغير اللغوية التي تحاول إظهار كيفية الربط بين الأصناف والأنماط والأشكال بوصفها عناصر وظيفية للجهاز الخطابي. ولهذا التباين في العناصر أهمية كبيرة في تحليل فوكو للممارسات الخطابية واللاخطابية للنظام، فليس المقصود بالتباين أن بعضها يستبعد بعضا، ولكنها متصلة في-نظره- وفق علاقات شبكية خفية. فالنظام عنده يبقى عنصرا من العناصر المنفردة التي تؤسس الترتيب الخاص والعلاقات الخاصة والعامة. وترتيب الروابط الجزئية والعلاقات بينها أمر مهم لأنها تنشأ استجابة لحاجة معينة، هي بالأساس موضوع صنع الخطاب. والمجتمع إذا استجاب، فإنه يستجيب لتأثير تنظيم النص والحديث بمختلف عناصره: اللغة والناس ومصادر القرارات، والأنشطة الإنسانية، والمنظمات والأوضاع، والحقيقة الواقعية[78]. غير أن هذا النظر الخاص بفوكو إلى الخطاب يبقى محتملا للضبابية والغموض، إذ يبدو أنه متناقض إلى حد كبير؛ ذلك لأنه يحكم على عناصر نظام الخطاب بأنها متصلة فيما بينها، وفي الآن نفسه نلفي في خطاطته الذهنية للنظام، من خلال موقفه هذا، عدم الربط الصريح بين الممارسات الخطابية والممارسات غير الخطابية، بل إن الغموض يطال حتى الآلية الرابطة بين الممارستين.

وفي محاولة لتوضيح غموض هذه الرابطة بين الممارسات الخطابية وغير الخطابية، وبين مجمل عناصر الخطاب(الموضوع، والهدف، والخطاب، والمشاركين، والجهات، والحقيقة المادية)، يقترح (Maier and Jager 2009) تصورا مختلفا لنظام الخطاب؛ فقد أوليا الممارسات غير الخطابية الأهميةَ القصوى، وقصدهما بالممارسات غير الخطابية هو أنشطة الناس بوصفها عنصراً أساسيا للفهم، ومحاولةً متوسطة بين الموضوع والهدف، وبين الممارسات الخطابية وغير الخطابية من جهة والأهداف من جهة أخرى[79].

وينطلق المقترح البديل لجاغر ومايير من نظرية التنشيط مع (Aleksej Leon'ev ١٩٧٨)، فقد أشارا إلى وجود علاقة واضحة بين الخطابات والأحداث والأشياء، وهي علاقة شبيهة بتلك التي جعلها ليونيف بؤرة نظرية التنشيط؛ إذ يتم تعيين المعنى لكائن/شيء –سابقا على وجوده- عند نشوء الحاجة إليه، ويتم توظيف النشاط البشري من أجل تشكيل المواد الخام، وتوجه إلى كائنات هادفة تستخدم لتلبية تلك الحاجة المحددة[80].

هكذا يكون النشاط الإنساني تلك (الرابطة) التي تربط بين(الموضوع، والهدف، والخطاب، والمشاركين، والجهات، والحقيقة المادية)[81]. فيكون النظام هو العلاقة بين الممارسات الخطابية (فكرا وقولا أو فكرا وتحدثا)، والممارسات غير الخطابية (أنشطة الناس)، والتجلي (الهدف المحقق). وتحتاج هذه العناصر الثلاث جميعها إلى المعرفة التي تشكل أساس الخطاب، وهي منقولة عبره في الآن نفسه. من هنا يصبح الخطاب ذا نظام مؤسسي للتحدث أو الكتابة، يؤثث الحدث ويدعمه، ويمارس سلطة ما كذلك، كما نُقل عن لانك(Link١٩٨٣) الذي يرى أن الخطاب: **"طريقة مؤسسية للتحدث الذي ينظم ويعزز الحدث، وبالتالي يمارس السلطة"[82].** ويمكن أيضا أن يُنظر إلى الخطاب وفق هذا المنظور على أنه تدفق جميع المعارف المجتمعية المخزنة على مر الزمن، وهو الذي يحدد الإجراءات الفردية والجماعية وممارسات الهيمنة، وبالتالي تشكيل المجتمع[83].

٥. في نقد مناهج التحليل النقدي للخطاب:

١.٥. فجوة منهجية في تحليل الممارسة الاجتماعية:

لعل الإطار النظري العام الذي تجتمع حوله جل المناهج المذكورة أعلاه، قد أُصِّل له منذ سنة ١٩٩١ بجامعة أمستردام من قبل الرواد الست الأوائل. وهو القائم –كما اتضح مع فوركلوف في المقاربة الجدلية العلائقية- على مسار تحليلي من ثلاث مراحل: تحليل الممارسة النصية، وتحليل الممارسة الخطابية، ثم تحليل الممارسة الاجتماعية. وتبقى هذه الأخيرة محطة للربط بين جميع محصلات سابقتيها، ومعطيات الممارسة الاجتماعية ونتائجها؛ من استجابات ومقاومات وسلط، وفيها تتم عملية التفسير. والملاحظ أن محطة تحليل الممارسة الاجتماعية تبقي الباب مفتوحا على مصراعيه لابتكار عدد غير محدود من مناهج التحليل النقدي للخطاب. ومرد ذلك إلى أن سبب افتراق المناهج الست المذكورة لحد الآن، هو زاوية النظر التي يتخذها الباحثون في ما يتناولونه من مواضيع؛ فطبيعة المواضيع تقتضي استدعاء أطر نظرية أخرى بمناهج أخرى غير اللسانيات وتحليل الخطاب؛ فقط في تحليل الممارسة الاجتماعية. وتظهر هذه الفجوة على الخصوص في مقاربة التحليل التنظيمي.

نسجل في هذا الصدد، التقاء جميع المناهج في التحليل النصي والتحليل الخطابي في المرجعية اللسانية من خلال إطارين نظريين لسانيين خالصين(اللسانيات النقدية والنحو الوظيفي النسقي)، ناهيك عن استدعاء نظريات وفروع لسانية عديدة حسب الحاجة إليها. غير أن مساراتها تفترق بالوصول إلى التحليل الاجتماعي، فكل منهج يفسر المعطيات اللسانية في علاقاتها بالممارسة الاجتماعية، إما وفق الميول المعرفي(الفلسفة، التاريخ، الأنثروبولوجيا، التربية، القانون، السياسة، الاقتصاد، الإعلام...)، وإما وفق ما يمليه الموضوع والمتن الدروس.

نرى أن هذا التباين المفرط في زوايا النظر قد يكون عاملا حاسما في غزارة المناهج مستقبلا، ويبعث على تبعات غير محمودة. بل إن العقد الأول من القرن الواحد والعشرين عرف ظهور منهجين آخرين على يد كل من هارت ولوك، ثم أوهالورن، كما يشير إلى ذلك بول بايكر: "**في حين ركز هارت ولوك(٢٠٠٧) على التعاضد بين اللسانيات المعرفية و C.D.A. وطور أوهالورن(٢٠٠٣) نموذج مرحلة التفسير في C.D.A، آخذا مجموعة أفكار من الاتصالية، اللسانيات المعرفية، الاستدلال، ونظرية المناسبة**"[84]. هكذا، فالنظرية اليوم أمام منهجين جديدين، مما يؤكد فرضية عدم القدرة على حصر العدة المنهجية والنظرية. وإن كان المنهجان الأخيران قد ظلا وفيين للاختصاص اللساني المحض في جميع المراحل، فقد حاول هارت ولوك أن يوظفا أطر اللسانيات المعرفية في المراحل الثلاثة كلها. والأهم من ذلك هو أن أوهالورن فطن إلى الفجوة التي تكرسها عملية التفسير في مرحلة تحليل الممارسة الاجتماعية، فحاول سدها بما يمكن أن يضمن استمرارية العمل اللساني في اتجاه خلاصات التحليل؛ ذلك ما يعكسه استدعاءه للسانيات المعرفية، والنظرية الحجاجية، ونظرية المناسبة في علم الدلالة، كما في النص أعلاه.

٢.٥. إشكال المصطلح:

يتسم الجهاز المفهومي لنظرية التحليل النقدي للخطاب بالغزارة والتنوع، وإن كانت مصطلحاته اللسانية مضبوطة وواضحة، فإن كون النظرية متصلة بالقضايا المجتمعية جعلها تستقطب مصطلحات من حقول معرفية متعددة. فبالنسبة للمصطلح اللساني، نلفي توليفا ضخما بين مصطلحات كثير من الشُعب اللسانية، كتحليل الخطاب ولسانيات النص والبلاغة والتداولية والوظيفية واللسانيات النقدية. ولعل هذا الثراء المصطلحي معزو إلى حرص النظرية على تعقب جزئيات النصوص والخطابات في جميع مستوياتها، لاستنطاق اللغة والإجراءات الخِطابية، وفضح المسكوت عنه من السلط ومظاهر الهيمنة المرجوة. غير أن عاملي الغزارة والتنوع يجعلان الجهاز المفهومي متشعبا ومتناسلا.

أما بالنسبة للمصطلح غير اللساني، فالملاحظ أنه يتراءى للباحث اللساني دخيلا معرفيا، ويحتاج إلى انفتاح على علوم عديدة، كعلم الاجتماع وعلم النفس والفلسفة والأنثروبولوجيا وعلوم التربية وعلم السياسة...؛ والحقيقة أن هذه المصطلحات التي تظهر غريبة على حقل اللسانيات وتحليل الخطاب، هي العامل الرئيس الذي يُبنى عليه في الحكم على نظرية التحليل النقدي للخطاب بأنها نظرية غير لسانية، وخصوصا من لدن باحثي اللسانيات النظرية الوصفية. بيد أن الأمر يستحق أن ينتبه الباحثون إلى أهداف التحليل النقدي للخطاب، والتي يمكن أن نلخصها في فضح مظاهر الهيمنة والسلط الممارسة(على اختلاف أنواعها) بوسيط اللغة والخطاب. ومنه، فإن هدفا كهذا متصل شديد الصلة بالمجتمع وقضايا الناس وحاجة البشر. ومادام الإنسان بؤرةَ الاشتغال الأولى، فإن حاجة الباحث إلى باقي العلوم الإنسانية –بمصطلحاتها- في التفسير، شرط قائم تمليه طبيعة الأهداف البحثية وجوهر النظرية برمتها.

٣.٥. تمرد مقاربة التحليل التنظيمي:

من اليسير جدا ملاحظة أن مقاربة التحليل التنظيمي للخطاب تنهج الإطار التحليلي نفسه المعتمد من قبل أصحاب المناهج الخمس الأخرى(تحليل الممارسة النصية، تحليل الممارسة الخِطابية، تحليل الممارسة الاجتماعية). غير أنها مقاربة خرجت عن هذا الإطار بشكل واضح، إذ لا تعنى بالمستوى الجزئي(micro-level) للنص والخطاب، بل تولي الحيز الأوفر من التحليل للمستوى الكلي(macro-level). وسبب ذلك هو كون أصحاب هذه النظرية(Jager و Maier) يستندون إلى إطار نظري فلسفي محض، بل يقدمانه في مسار التحليل؛ وهو فلسفة ميشال فوكو.

تتجاوز هذه المقاربة في تحليل الخطاب المجال الحصري للغة، وتصر على تحليل العناصر غير اللغوية بشكل كبير. ويعزى ذلك إلى استحضارها موقف فوكو(٢٠٠٢) من الخطاب. لأنها تبحث عن الروابط المضمرة في شبكة

العلاقات بين المواد اللغوية الملموسة والخطاب مع محتوياته ورموزه واستراتيجياته والمعرفة. فضلا عن كونها تنظر إلى الخطاب باعتباره نظاما يتعدى الفردانية.

الخطاب حسب هذه المقاربة نظام متجانس، وفي الآن نفسه ينبني على أساس مجموعة غير متجانسة من العناصر، كالمؤسسات وأشكال الممارسات الاجتماعية والقرارات السيادية، والقوانين والتدابير الرسمية والبيانات العلمية والمقترحات الفلسفية والأخلاقية؛ وهو فهم مستورد من كتاب فوكو المعنون بـ(نظام الخطاب). ولعل هذا التناقض هو ما كرس عناية بالغة بغير اللساني على حساب اللساني، بل إنه سبب الإغراق في البحث عن أصول الخطاب الاجتماعية السياسية دون اللغوية. وهذه فرضية تتعزز بالنظر إلى الموضوعات التي طالما قاربها أصحاب هذه المقاربة، كالعنصرية والخطاب الاستعماري والأقليات والحروب العرقية والنزاعات السياسية.

٤.٥. اصطدام الأطر اللسانية في التحليل:

هناك فرق بين الأطر المرجعية اللسانية للتحليل النقدي للخطاب، والأطر اللسانية النظرية المستدعاة في أثناء التحليل النصي والتحليل الخِطابي. فالأولى معلومة ومصرح بها من قبل جميع أصحاب المناهج المذكورة، وتتلخص في اللسانيات النقدية والنحو الوظيفي بالأساس. أما الثانية فهي كل النظريات والمقاربات اللسانية التي تستدعى تطبيقا لحظة تحليل النصوص والخطابات. ولا يستطيع الناظر في النماذج التطبيقية أن يحصر عناوينها أو عددها. وإن كانت ناتجة هذه الغزارة محمودة بوصفها تغني البحث، وتحيط بجميع مستويات النص اللغوية والخِطابية-التفاعلية والتداولية، فإنها تفرز إشكالا عويصا للباحثين المعاصرين؛ وهو صعوبة التوفيق بين الأطر التحليلية لضمان شرط الانسجام في البحث اللغوي، وحصر إشكالات الأبحاث وأحجامها. ونكتفي بهذه الإشارة الوجيزة إلى مشكل اصطدام الأطر اللسانية في التحليل النقدي للخطاب، مع إثارة الانتباه إلى أنه سيكون موضوعا محوريا لدراسة أخرى مستقبلا.

خاتمـة:

تؤكد هذه الورقة أن نظرية التحليل النقدي للخطاب نظرية لسانية معاصرة دونما أي شك، وأنها آخر حلقة من حلقات تحليل الخطاب. فقد تبين أن مبتدأها انبنى على أسس إطارين نظريين لسانيين: النحو الوظيفي النسقي، واللسانيات النقدية، وأنها تستثمر ما تيسر من النظريات والمقاربات اللسانية من جميع الفروع، لتدقيق النظر واستخلاص التفاصيل الخفية في بنى النصوص والخطابات. كما أنها تجاوزت غيرها من نظريات تحليل الخطاب في الشق المتعلق بكشف السلط ومظاهر الهيمنة، وقدرة اللغة على حجب المقاصد المشبوهة والمبطنة في ثنايا الممارسة اللغوية نصا وخطابا.

لقد ظهر بكل جلاء أن المناهج الست لهذه النظرية تنهج مسارا واحدا في تحيل الخطاب، فكلها تعتمد مباحث ومقاربات ونظريات لسانية وبلاغية وحجاجية وسيميائية في مرحلة تحليل الممارسة النصية، ثم في مرحلة تحليل الممارسة الخطابية. غير أن طبيعة المواضيع والمتون وخصوصياتها، تقف كمفترق طرق في مرحلة تحليل الممارسة الاجتماعية حيث يشرع الباحث في الربط بين نتائج التحليل النصي/الخِطابي، بما يحتضنه المجتمع من ممارسات؛ بوصفها تمثيلات أو استجابات أو مقاومات أو تحفظات. ولابد من الإشارة إلى أن الأحكام الجاهزة التي تنفي عن هذا التخصص مشروعيته اللسانية، تحتاج إلى أن تتعرف عليه وعلى مناهجه عن كثب؛ وهو أمر ليس بالعسير، خصوصا وأن مصادره متوفرة، بل إن بعضها تُرجم من قبل باحثين عرب أكفاء[١٦].

إن الإشكالات المصطلحية والنظرية والمنهجية المطروحة في المحور الأخير من هذه الدراسة، تدعو الباحثين العرب والمشتغلين في حقل تحليل الخطاب، إلى ضرورة العمل على وضع خطط عمل للحد من تناسل المصطلحات والمناهج الخارجة عن المجال اللساني. وقبل ذلك، نحن في أمس الحاجة إلى ورشات ومؤتمرات وندوات تعرف بهذا التخصص المعاصر، وتحفز الباحث العربي على التأليف فيه تنظيرا وتطبيقا؛ خصوصا وأن المجتمعات العربية تعرف قضايا ومستجدات ستشكل متونا ملائمة لهذا النوع من الدراسات اللسانية-الخطابية.

لا ننسى أن نشير إلى أن هذا النوع من الدراسات اللسانية ما يزال شبه غريب في العالم العربي، والاهتمام به محدود جدا، بل إنه منعدم في بعض الأقطار. وربما حان الوقت لنعطي التحليل النقدي للخطاب بعضا من جهدنا ورأسمالنا.

---

[١٦] نحيل القارئ إلى بعض مصادر نظرية التحليل النقدي للخطاب، وهي من أوائل ما أُلّف في هذا المجال، لتتم ترجمتها من لدن مجموعة من الأساتذة العرب الأجلاء في السنوات العشر الأخيرة:

. فان دايك تون، ٢٠١٤: الخطاب والسلطة، ترجمة غيداء العلي، مراجعة وتقديم عماد عبد اللطيف، ط١، القاهرة، المركز القومي للترجمة.

. فوداك روث وميشال مايير، ٢٠١٤: مناهج التحليل النقدي للخطاب، ترجمة حسام أحمد فرج وعزة شبل محمد، مراجعة عماد عبد اللطيف، ط١، القاهرة، المركز القومي للترجمة.

. فوركلوف نورمان، ٢٠٠٩: تحليل الخطاب: التحليل النصي في البحث الاجتماعي، ترجمة طلال وهبة، ط١، بيروت، المنظمة العربية للترجمة.

. فوركلوف نورمان ، ٢٠١٦: اللغة والسلطة، ترجمة محمد عناني، ط١، القاهرة، المركز القومي للترجمة.

الهوامـش:

[1] Halliday- M.A.K.: 1978, "an interpretation of the functional relationship between language and social structure", from Uta Quastoff (ed), Sprachstruktur-sozialstruktur: Zure Linguistichen Theorienbildung, 3-42. Vol 10 of the collected Works, 2007, p53.

[2] Paul Baker and Sibonile Ellece: 2011, Key Terms in Discourse Analysis, London, New York, Continuum International Publishing Group, p26.

وأُنظر أيضا: نورمان فوركلوف، ٢٠٠٩ :تحليل الخطاب: التحليل النصي في البحث الاجتماعي، ترجمة طلال وهبة، ط١، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ص٢٦.

[3] نورمان فوركلوف، تحليل الخطاب:التحليل النصي في البحث الاجتماعي، ترجمة طلال وهبة، المنظمة العربية للترجمة، ط١، بيروت، ٢٠٠٩، ص٢٦.

[4] المرجع نفسه، ص٣٧٦.

[5] Paul Baker and Sibonile Ellece: 2011, Key Terms in Discourse Analysis, London, New York, Continuum International Publishing Group, p26.

[6] نورمان فوركلوف، ٢٠١٦: اللغة والسلطة، ترجمة محمد عناني، ط١، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ص١٧.

[7] Teun A. Van Dijk, Ltd 2001: Critical Discourse Analysis, in Handbook of Discourse Analysis, Blackwell Publishers, p352.

[8] نورمان فوركلوف ٢٠١٦: اللغة والسلطة، ص.ص٣٦-٨٠-١٨٥-١٨٩.

[9] Paul Baker and Sibonile Ellece: 2011, Key Terms in Discourse Analysis, London, New York, Continuum International Publishing Group, p26.

[10] روث فوداك وميشال مايير، ٢٠١٤: مناهج التحليل النقدي للخطاب، ترجمة حسام أحمد فرج وعزة شبل محمد، ط١، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ص.ص ٠٤-٠٥.

[11] Blommaert, J. and C. Bulcaen, 2000: Critical Discourse Analysis, *Annual, Review of Anthropology* 29, p455.

[12] عماد عبد اللطيف ٢٠١٣: تحليل الخطاب :بين بلاغة الجمهور وسيميائية الأيقونات الاجتماعية، مصر، مجلة فصول، الهيئة العامة للكتاب، عدد ٨٣-٨٤، ص٥١٠.

[13] توين فان دايك، ٢٠١٤: الخطاب والسلطة، ترجمة غيداء العلي، مراجعة وتقديم عماد عبد اللطيف، ط١، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ص١٩٠.

[14] عبد الحق صلاح إسماعيل،١٩٩٣: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ط١، بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر، ص٤٢.

[15] كمال بومنير، ٢٠١٠: النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، ط١، الرباط، دار الأمان، ص٤٥.

[16] توين فان دايك، ٢٠١٤: الخطاب والسلطة، ص١٨٩.

[17] Paul Baker and Sibonile Ellece, 2011: Key Terms in Discourse Analysis, p27.

[18] نورمان فوركلوف، ٢٠٠٩، تحليل الخطاب:التحليل النصي في البحث الاجتماعي، ص٢٦.

[19] سارة ميلز، ٢٠١٦: الخطاب، ترجمة عبد الوهاب علوب، ط١، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ص١٦٤.

[20] Paul Baker and Sibonile Ellece, 2011: Key Terms in Discourse Analysis, p27.

[21] محمد لطفي الزليطني، من تحليل الخطاب إلى التحليل النقدي الخطاب، مجلة الخطاب، العدد ١٧، ص١٠.

[22] Paul Baker and Sibonile Ellece, 2011: Key Terms in Discourse Analysis, p27.

[23] ibid, p26.

[24] نورمان فوركلوف، اللغة والسلطة، ترجمة محمد عناني، المركز القومي للترجمة، ط١، القاهرة، ، ص٤٣.

[25] المرجع نفسه، ص٤٢.

[26] المرجع نفسه، ص٤٤.

[27] المرجع نفسه، ص٤٤.

[28] المرجع نفسه، ص٤٦.

[29] المرجع نفسه، ص٢٢١.

[30] Ruth Vodak and Martin Reisigl, Ltd 2001: Discourse and Racism, in Handbook of Discourse Analysis, Blackwell Publishers, p383.

[31] Paul Baker and Sibonile Ellece, 2011: Key Terms in Discourse Analysis, p27.

[32] Gilbert.Wiess and Ruth Wodak, 2003: Critical Discourse Analysis, Theory and Interdisciplinarity, Palgrave Macmillan, p02.

[33] Halliday- M.A.K.: 1978, "an interpretation of the functional relationship between language and social structure", p60.

[34] Ruth Vodak and Martin Reisigl, Ltd 2001: Discourse and Racism, p385.

[35] Ruth Vodak, 2002, Aspects of critical Discourse Analysis, Zeitschrift fur Angewandte Linguistk, Lancaster University.

[36] Paul Baker and Sibonile Ellece, 2011: Key Terms in Discourse Analysis, p26.

[37] Ruth Vodak and Martin Reisigl, Ltd 2001: Discourse and Racism, p385.

[38] Paul Baker and Sibonile Ellece, 2011; Key Terms in Discourse Analysis, p26.

[39] توين فان دايك، ٢٠١٤: الخطاب والسلطة، ص٣٧.

[40] المرجع نفسه، ص٣٧.

[41] المرجع نفسه، ص٣٧.

[42] المرجع نفسه ص٢٣.

[43] المرجع نفسه، ص٥٧.

[44] المرجع نفسه.

[45] المرجع نفسه.

[46] المرجع نفسه.

[47] المرجع نفسه، ص٣٦.

[48] المرجع نفسه، ص٣٢.

[49] المرجع نفسه، ص٣٣.

[50] Paul Baker and Sibonile Ellece, 2011: Key Terms in Discourse Analysis, p26.

[51] Theo Van Leeven, 2008: discourse and practice: new tools for critical discourse analysis, OXFORD university press, p05.

[52] ibid, p05.

[53] ibid, p(vii).

[54] ibid, p(vii).

[55] ibid, p(vii).

[56] ibid pp (vii.viii.)

[57] ibid, pp (vii.viii).

[58] ibid, p(viii).

[59] ibid, p05.

[60] ibid, p.p 06-07.

[61] ibid, p 22.

[62] ibid, p22.

[63] Partington-Alain, corpus linguistics: what is it and what it can do?, published on line in: https//www.academia.edu/1780003/Corpus Linguistics What is it and What it can do?,p31.

[64] ibid, p32.

[65] Mcenry and Welson, 1996: Corpus Linguistics, Edinburgh University press, p01.

[66] Baker-Paul, 2006: Using Corpora in Discourse Analysis, London: Continuum., pp 10-12.

[67] Baker-Paul et al, *Discourses of refugees and asylum seekers in the UK press,* in: discours and society, sage pulication, (Los Angeles, London, New Delhi and Singapore, Vol 19(3)):p 285.

[68] Paul Baker and Sibonile Ellece, 2011: Key Terms in Discourse Analysis, p26.

[69] Jager, Siegfried & Maier, Florentine, 2009: 'Theoretical and methodological aspects of Foucauldian critical discourse analysis and dispositive analysis'. in: Wodak, Ruth & Meyer, Michael (Eds.) Methods of CDA. London: Sage, pp 34-35

[70] ibid, pp 39-42

[71] Paul Baker and Sibonile Ellece, 2011: Key Terms in Discourse Analysis, p26.

[72] Jager, Siegfried & Maier, Florentine (2009) 'Theoretical and methodological aspects of Foucauldian critical discourse analysis and dispositive analysis', P34.

[73] Fairclough, Norman, 1992, discours and social change, Cambridge: Polity Press, pp 37-61.

[74] Foucault-Michel, 2002: The Archeology of Knowledge, Routledge Classics, Psychology Press.

[75] Jager, Siegfried & Maier, Florentine (2009) 'Theoretical and methodological aspects of Foucauldian critical discourse analysis and dispositive analysis', p 34.

[76] Foucault-Michel, 1980, Power/Knowledge: Selected Interviews and Other Writings, 1972-1977, Translated by Colin Gordon, Pantheon Books, p 194.

[77] Foucault-Michel, 1979; Discipline and Punish: The Birth of the Prison, Vintage Books, pp 119-120.

[78] Jager, Siegfried & Maier, Florentine: 2009: 'Theoretical and methodological aspects of Foucauldian critical discourse analysis and dispositive analysis', p 42.

[79] Wodak, Ruth & Meyer, Michael: 2009a: 'Critical discourse analysis: history, agenda, theory, and methodology'. in: Wodak, Ruth & Meyer, Michael (Eds.) Methods of CDA. London: Sage.

[80] Jager, Siegfried & Maier, Florentine 2009: 'Theoretical and methodological aspects of Foucauldian critical discourse analysis and dispositive analysis', p 49.

[81] ibid, p 43.

[82] Alessandro Capone, Jacob L. Mey, 2015: Interdisciplinary Studies in Pragmatics, Culture and Society, in: Perspectives in Pragmatics, Philosophy & Psychology Springer, vol 4, p 86.

[83] Jager, Siegfried & Maier, Florentine (2009) 'Theoretical and methodological aspects of Foucauldian critical discourse analysis and dispositive analysis', p 45.

[84] Paul Baker and Sibonile Ellece, 2011: Key Terms in Discourse Analysis, p26.

المصادر والمراجع:

١- الزليطني محمد لطفي، من تحليل الخطاب إلى التحليل النقدي الخطاب، مجلة الخطاب، العدد ١٧.

٢- بومنير كمال، ٢٠١٠: النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، ط١، الرباط، دار الأمان.

٣- عبد الحق صلاح إسماعيل، ١٩٩٣: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ط١، بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر.

٤- عماد عبد اللطيف، ٢٠١٣: تحليل الخطاب :بين بلاغة الجمهور وسيميائية الأيقونات الاجتماعية، مصر، مجلة فصول، الهيئة العامة للكتاب، عدد ٨٣-٨٤.

٥- ميلز سارة، ٢٠١٦: الخطاب، ترجمة عبد الوهاب علوب، ط١، القاهرة المركز القومي للترجمة.

٦- فان دايك توين،٢٠١٤: الخطاب والسلطة، ترجمة غيداء العلي، مراجعة وتقديم عماد عبد اللطيف، ط١، القاهرة، المركز القومي للترجمة.

٧- فوداك روث وميشال مايير، ٢٠١٤: مناهج التحليل النقدي للخطاب، ترجمة حسام أحمد فرج وعزة شبل محمد، مراجعة عماد عبد اللطيف، ط١، القاهرة، المركز القومي للترجمة.
٨- فوركلوف نورمان، ٢٠٠٩: تحليل الخطاب: التحليل النصي في البحث الاجتماعي، ترجمة طلال وهبة، ط١، بيروت، المنظمة العربية للترجمة.
٩- فوركلوف نورمان ، ٢٠١٦: اللغة والسلطة، ترجمة محمد عناني، ط١، القاهرة، المركز القومي للترجمة.

10- Baker-Paul, 2006 : Using Corpora in Discourse Analysis, London: Continuum.
11- Baker-Paul et al, Discourses of refugees and asylum seekers in the UK press, in: discours and society, sage pulication, (Los Angeles, London, New Delhi and Singapore, Vol 19).
12- Baker-Paul and Sibonile Ellece, 2011: Key Terms in Discourse Analysis, Continuum International Publishing Group, London, New York.
13- Blommaert, J. and C. Bulcaen, 2015: Critical Discourse Analysis, Annual, Review of Anthropology.
14-Capone-Alessandro, Jacob L. Mey, Interdisciplinary Studies in Pragmatics, Culture and Society, in: Perspectives in Pragmatics, Philosophy & Psychology Springer, vol 4.
15- Fairclough, Norman, 1992: discours and social change, Cambridge: Polity Press.
16-Foucault Michel, 1979: Discipline and Punish: The Birth of the Prison, Vintage Books.
17- Foucault-Michel, Power/Knowledge, 1980: Selected Interviews and Other Writings, 1972-1977, Translated by Colin Gordon, Pantheon Books.
18- Foucault-Michel, 2002: The Archeology of Knowledge, Routledge Classics, Psychology Press.
19- Halliday? M.A.K, 1978: "an interpretation of the functional relationship between language and social structure", from Uta Quastoff (ed), Sprachstruktur-sozialstruktur: Zure Linguistichen Theorienbildung, 3-42. Vol 10 of the collected Works, 2007.
20-Jager-Siegfried, & Maier, Florentine, 2009:, Theoretical and methodological aspects of Foucauldian critical discourse analysis and dispositive analysis'. in: Wodak, Ruth & Meyer, Michael (Eds.) Methods of CDA. London: Sage.
21- Mcenry and Welson, 1996: Corpus Linguistics, Edinburgh University press.
22- Partington-Alain, corpus linguistics: what is it and what it can do?, published on line in: https//www.academia.edu/1780003/Corpus Linguistics What is it and What it can do.
23- Van Dijk-Teun A., Ltd 2001: Critical Discourse Analysis, in Handbook of Discourse Analysis, Blackwell Publishers.
24- Van Leeven-Theo, 2008: discourse and practice: new tools for critical discourse analysis, OXFORD university press.
25- Vodak-Ruth and Martin Reisigl, Ltd 2001: Discourse and Racism, in Handbook of Discourse Analysis, Blackwell Publishers.
26- Vodak-Ruth, 2002: aspects of critical discourse analysis, in: Zeitschrift fur Angewandte linguistic Vol. 36.
27- Vodak, Ruth & Meyer, Michael, 2009a: 'Critical discourse analysis: history, agenda, theory, and methodology'. in: Wodak, Ruth & Meyer, Michael (Eds.) Methods of CDA. London: Sage.
28- Wiess-Gilbert and Ruth Wodak, 2003: Critical Discourse Analysis, Theory and Interdisciplinarity, Palgrave Macmillan.